



وزارة التربية والتعليم
MINISTRY OF EDUCATION

المملكة العربية السعودية
وزارة التربية والتعليم
الخطوة الأولى

التوحيد

للمصف الأول الثانوي



طبعة ١٤٢٧هـ - ١٤٢٨هـ

٢٠٠٦م - ٢٠٠٧م

بمركز مبانى ولايت

قررت وزارة التربية والتعليم تدريس
هذا الكتاب وطبعه على نفقتها



المملكة العربية السعودية
وزارة التربية والتعليم
التطوير التربوي

التوحيد

للصف الأول الثانوي

تأليف

الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

يُمنع مجازاة والبيع

طبعة
١٤٢٧هـ - ١٤٢٨هـ
٢٠٠٦م - ٢٠٠٧م

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
السعودية - وزارة التربية والتعليم
التوحيد : للصف أول ثانوي. - ط ٣. - الرياض .
٧٢ ص - ٢١ × ٢٣ سم
ردمك ٠-١٩٩-١٩-٩٩٦٠
١- التوحيد - كتب دراسية ٢- التعليم الثانوي
السعودية - كتب دراسية أ- العنوان
ديري ٧١٢ , ٢٤٠ ١٩ / ٢١٣٠

أشرف على الإعداد والإنتاج



لهذا الكتاب قيمة مهمة وفائدة كبيرة فلنحافظ عليه ولنجعل
نظافته تشهد على حسن سلوكنا معه ...

إذا لم نحفظ بهذا الكتاب في مكتبتنا الخاصة في آخر العام
للاستفادة فلنجعل مكتبة مدرستنا تحتفظ به ...

موقع الوزارة

www.moe.gov.sa

موقع الإدارة العامة للمناهج

www.moe.gov.sa/curriculum/index.htm

البريد الإلكتروني للإدارة العامة للمناهج وحدة العلوم الشرعية

runit@moe.gov.sa

حقوق الطبع والنشر محفوظة

لوزارة التربية والتعليم

بالمملكة العربية السعودية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفصل الدراسي الأول



الباب الأول

معنى الإسلام وأصول العقيدة

ويتكوّن من الفصول الآتية :

الفصل الأول : الإيمان بالله.

الفصل الثاني : الإيمان بالملائكة.

الفصل الثالث : الإيمان بالكتب السماوية.

الفصل الرابع : الإيمان بالرسل.

الفصل الخامس : الإيمان باليوم الآخر.

الفصل السادس : الإيمان بالقدر خيره وشره.



الفصل الأول

بيان معنى الإسلام وأنه دين جميع الرسل

معنى الإسلام :

الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله ، وهو دين جميع الأنبياء عليهم السلام وإن اختلفت شرائعهم ؛ لأن الإسلام معناه عبادة الله تعالى بما شرعه في كل وقت بحسبه . قال الله تعالى عن نوح عليه السلام : ﴿ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (سورة يونس). وقال عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (سورة البقرة). وقال عن موسى عليه السلام : ﴿ وَقَالَ مُوسَى يُقَوْمُ إِن كُنْتُمْ بِاللهِ فَاعِلِينَ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾ (سورة يونس).

وقال عن حواربي المسيح : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (سورة المائدة). وقال فيمن تقدم من الأنبياء : ﴿ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا ﴾ (سورة المائدة الآية ٤٤). وهو دين سليمان ، قال تعالى عن بلقيس : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (سورة النمل).

فالإسلام يتضمن الاستسلام لله وحده. فمن استسلم له ولغيره كان شركاً. ومن لم يستسلم له كان مستكبراً . والمشرك والمستكبر عن الإسلام كل منهما كافر . والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده وطاعته وحده - فهذا دين الإسلام الذي لا يقبل الله غيره - كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (سورة آل عمران).

وذلك إنما يكون بأن يطاع في كل وقت بفعل ما أمر به في ذلك الوقت ، فإذا أمر في أول الأمر باستقبال الصخرة ، ثم أمرنا ثانياً باستقبال الكعبة كان كل من الفعلين حين الأمر داخلًا في الإسلام . فالدين هو الطاعة والعبادة له في الفعلين ، وإنما تنوع بعض صور الفعل وهو وجهة المصلي ، فكذلك الرسل وإن تنوعت الشريعة والمنهاج والوجهة والمنسك فإن ذلك لا يمنع أن يكون الدين واحداً كما لم يمنع ذلك في شريعة الرسول الواحد ^(١) . وقد قال لنا : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ ^(١٦) فَإِنَّمَا آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنُكُمْ بِهِ . فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ^(١٧) (سورة البقرة).

فأمرنا أن نقول آمنا بهذا كله ونحن له مسلمون . فمن بلغته رسالة محمد ﷺ ، فلم يقر بما جاء به لم يكن مسلماً ولا مؤمناً ، بل يكون كافراً وإن زعم أنه مسلم أو مؤمن ؛ لأنه بعد بعثة محمد ﷺ صار الإسلام هو الإيمان به واتباعه ، ومن لم يؤمن به ويتبعه فليس بمسلم وإن زعم أنه على دين نبي من الأنبياء ؛ لأن جميع الأديان السماوية نُسخَت بدين محمد ﷺ ، وهو خاتم النبيين ، فالذي يتبع غير دين محمد ﷺ إنما يتبع ديناً منسوخاً قد انتهى العمل به . قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ^(٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ ^(٣٢) (آل عمران).

وهذا إذا سلم شيء من الأديان السابقة من التغيير والتبديل والتحريف فهو منسوخ لا يجوز العمل بشيء منه إلا ما أقره الإسلام .

ودين الإسلام يتكون من عقيدة وشريعة : العقيدة هي الأساس الذي تبنى عليه جميع الأعمال والتصرفات والتصورات التي تصدر من العبد ، والشريعة هي المنهج الذي يسير عليه العبد في تلك الأعمال والتصرفات . ولأجل أن تكون العقيدة سليمة لا بد أن تكون على وفق ما جاءت به الرسل ونزلت به الكتب خالية من الشرك ، ولأجل أن يكون المنهج سليماً لا بد أن يكون على وفق ما شرعه الله لعباده خالياً من البدع .

فالعقيدة هي ما يؤمن به الإنسان إيماناً جازماً ، ويعقد عليه قلبه ويتيقنه في قرارة نفسه .

(١) التدمرية صفحة ٣٢٢ لشيخ الإسلام مع شرحها للشيخ فالح بن مهدي .

أصول العقيدة وذكر أدلتها من الكتاب والسنة :

وعقيدة الإسلام بُنِيَ على أصول وأركان ستة لا تصح إلا إذا وجدت وتحققت :

وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره ، وهذه الأركان دل عليها الكتاب والسنة . أما الكتاب ففي قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ الْإِيمَانُ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْإِيمَانَ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ (الآية ١٧٧ من سورة البقرة) . وقوله تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفْرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ (الآية ٢٨٥ من سورة البقرة) . وقال تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (سورة القمر) .

كما أن الإيمان بالله وبكتبه ورسله يستلزم الإيمان بالقضاء والقدر ؛ لأن القضاء والقدر من أفعال الله تعالى ، ومما أخبرت به كتبه ورسله - وقد قال النبي ﷺ : «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»^(١) فمن جحد شيئاً من هذه الأركان ولم يؤمن به ويعتقده فهو كافر - لأنها أصول العقيدة وأركانها - والشيء لا يوجد إلا بوجود جميع أركانه . وهذه هي الأركان الباطنة وأما الأركان الظاهرة فهي خمسة : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت الحرام من استطاع إليه سبيلاً وهذه تسمى أركان الإسلام ، وتسمى تلك أركان الإيمان ، وكلاهما لا بد منه .

الإيمان بالله تعالى :

فالأصل الأول هو الإيمان بالله تعالى - وهو أصل الأصول - وهو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى هو رب كل شيء ومليكه ، وأنه الخالق وحده ، المدبر للكون كله . وأنه هو الذي يستحق العبادة وحده لا

(١) رواه مسلم.

شريك له . وأن كل معبود سواه فهو باطل وعبادته باطلة ، قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ (سورة الحج).

وأنه متصف بصفات الكمال ونعوت الجلال . له الأسماء الحسنى - منزّه عن كل نقص وعيب ، لا يسمى ولا يوصف إلا بما سمى به نفسه ووصف به نفسه أو سماه به ووصفه به رسوله محمد ﷺ .

ما يشملُه الإيمان بالله :

يشمل الإيمان بالله التوحيد بأنواعه الثلاثة :

- توحيد الربوبية : وهو توحيد الله بأفعاله سبحانه من الخلق والرزق والإحياء والإماتة والتدبير .
- توحيد الألوهية : وهو توحيد الله بأفعال العباد التي يتقربون بها إليه ، كالدعاء والاستغاثة والاستعاذة والذبح والنذر والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة ، والصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة وسائر الطاعات.
- توحيد الأسماء والصفات : وهو إثبات ما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسوله من الأسماء والصفات ، وتنزيهه عما نزه نفسه عنه أو نزهه عنه رسوله من النقص والعيب . كما سيأتي مفصلاً إن شاء الله.

الأسئلة :

- ١ - ما معنى الإسلام ؟ اذكر الأدلة على أنه دين جميع الأنبياء ، وكيف يمكن ذلك مع تعدد الشرائع ؟
- ٢ - ما حكم من بقي على شريعة سابقة بعد بعثة محمد ﷺ ؟ واستدل لما تقول .
- ٣ - ما الفرق بين العقيدة والشريعة ؟ ومتى يكون كل منهما سليماً صحيحاً ؟
- ٤ - عرف العقيدة ، واذكر أركان عقيدة الإسلام إجمالاً مستدلاً لهذه الأركان من الكتاب والسنة . وما حكم من جحد شيئاً من هذه الأركان ؟ ولماذا ؟
- ٥ - ما معنى الإيمان بالله تعالى ؟ وما الدليل على ما تقول ؟ وماذا يشمل الإيمان بالله ؟

الفصل الثاني

الإيمان بالملائكة

الملائكة خلق من خلق الله تعالى وعباد لله لا يعلمهم إلا هو ، فهم من عالم الغيب . والملائكة جميع ملك بمعنى رسول من الألوكة بمعنى الرسالة . قال تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحٍ مَشْفَى وَتِلْكَ وَرِثَةُ الْيَوْمِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١ ﴾ (سورة فاطر) . وقال تعالى : ﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ١ ﴾ (سورة المرات) بمعنى الملائكة .

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ يُصَوِّطُ مِنْ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنْ النَّاسِ ١ ﴾ (الحج ٧٥) .

وقد خلقهم الله من النور كما في صحيح مسلم ، وأعطاهم القدرة على التشكل بحيث يأتون إلى الناس في صور البشر ، لأن الناس لا يستطيعون رؤيتهم في الصور التي خلقوا عليها ، فمن رحمة الله تعالى أن جعلهم يأتون إلى البشر بالصورة المناسبة لحالهم كما جاءوا إلى إبراهيم - عليه السلام - في صورة أضياف . وكان جبريل يأتي إلى النبي ﷺ في صورة إنسان ولم يره النبي - ﷺ - في صورته الملكية إلا مرتين كما في الحديث .

❦ كيفية الإيمان بالملائكة :

الإيمان بهم هو التصديق بوجودهم ، وأنهم عباد لله خلقهم لعبادته وتنفيذ أوامره في خلقه . والتصديق بأوصافهم وأصنافهم وأعمالهم التي يقومون بها مما ورد ذكره في الكتاب والسنة . والإقرار بفضلهم وشرفهم ، فمنهم حملة العرش ، ومنهم المقربون ، ومنهم الموكّلون بأجرة وإعداد الكرامة لأهلها ، ومنهم الموكّلون بالنار وهم الزبانية وخزنة جهنم ، ومنهم الموكّلون بحفظ بني آدم وحفظ أعمالهم وكتاباتهم ، ومنهم الموكّلون بشأن النطفة والأجنة في الأرحام ، ومنهم الموكّلون بقبض الأرواح عند الوفاة ، ومنهم الموكّلون بسؤال الميت حين يوضع في قبره عن ربه ودينه ونبيه ، ومنهم الموكّلون بالوحي وتبليغه

الرسلى ، ومنهم الموكثون بالرياح والسحاب والنبات إلى غير ذلك من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله مع عبادتهم لله وخوفهم منه وتسبيحه والسجود له سبحانه . فلا بد من اعتقاد ما جاء في الكتاب والسنة في شأن الملائكة الكرام عليهم الصلاة والسلام.

الأسئلة :

- ١ - ما المراد بالملائكة ؟ ومن خلقوا ؟ ولماذا لا يراهم البشر على خلقهم الحقيقية ؟ وما حكم الإيمان بهم ؟ وماذا يتضمن ؟
- ٢ - اذكر شيئاً من الأعمال التي يزاولها الملائكة بأمر الله تعالى .

الفصل الثالث

الإيمان بالكتب الإلهية

الإيمان بالكتب الإلهية : التي نزلت على الرسل بأنها حق وصدق ، وأنها كلام الله عز وجل ، فيها الهدى والنور والكناية لمن أنزلت عليهم ، تؤمن بما سمي الله منها وهي : التوراة والإنجيل والزيور والقرآن ، وتؤمن بما لم يسم منها ، فإن لله كتباً لا يعلمها إلا هو سبحانه .

الحكمة في إنزال الكتب السماوية :

هي رحمة الله بعباده لحاجة البشرية إليها ؛ لأن عقل الإنسان محدود لا يدرك تفاصيل النفع والضرر ، وإن كان يدرك الفرق بين النافع والضار إجمالاً ، والعقل البشري أيضاً تغلب عليه الشهوات ، وتلعب به الأغراض والأهواء فلو وكلت البشرية إلى عقولها القاصرة لضلت . فافتضت حكمة الله ورحمته بعباده أن ينزل عليهم هذه الكتب بواسطة رساله ليُبينوها للناس ، قال تعالى حين أهبط آدم أبا البشرية - عليه السلام - إلى الأرض : ﴿ فَأَمَّا يَا آدَمُ فَكُفُّ عَنْ هَذَا فَمَنْ تَبِعَ هَذَا لَا خَافُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (سورة البقرة).

أقسام الناس حيال الكتب الإلهية :

- ١ - قسم كذب بها كلها وهم أعداء الرسل من الكفار والمشركين والفلاسفة والزنادقة .
- ٢ - وقسم آمن بها كلها وهم المؤمنون الذين آمنوا بجميع الرسل وما أنزل إليهم كما قال تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرٍ بَيْنَهُمْ مِنْ أَحَدٍ مِنْ رَسُولٍ ﴾ (الآية ٢٨٥ من سورة البقرة).
- ٣ - وقسم آمن ببعض الكتب وكفر ببعضها وهم اليهود والنصارى ومن سار على نهجهم حيث قالوا : ﴿ نُوْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَنَكْفُرُ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ ﴾ (الآية ٩١ من سورة البقرة).

ولا شك في أن الإيمان ببعض الكتب والكفر ببعضها الآخر ، أو الإيمان ببعض الكتاب الواحد والكفر ببعضه كفر بالجميع . كما قال تعالى : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ (سورة البقرة).

❦ كيفية الإيمان بالكتب السماوية :

الإيمان بالكتب السابقة إيمان مجمل - يكون بالإقرار والتصديق بها بالقلب واللسان بأنها كلام الله . أما الإيمان بالقرآن فإنه إيمان مفصل يكون بالإقرار بالقلب واللسان واتباع ما جاء فيه ولتحكيمه في كل كبيرة وصغيرة ، والإيمان بأنه كلام الله تعالى حقيقة لفظه ومعناه ، منزل غير مخلوق ؛ منه بدأ وإليه يعود . وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن تكون الكتب السابقة لأجيال معينة ولأوقات محددة ، ووكل حفظها إلى الذين استحسنوا عليها من الرائيين والأخبار ، وقد وقع فيها التحريف والتبديل ، أما القرآن الكريم فقد أنزله الله لكل الأجيال من جميع الأمم وفي جميع الأوطان إلى يوم القيامة . وتولى سبحانه حفظه بنفسه وتكفل به ؛ لأن وظيفة هذا الكتاب لا تنتهي إلا بنهاية حياة البشر على الأرض .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ (سورة الحجر).

وقال تعالى : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطَلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٩٢﴾ ﴾ (سورة فصلت).

الأسئلة :

- ١ - ما معنى الإيمان بالكتب الإلهية ؟ واذكر شيئاً من أسمائها . وكيفية الإيمان بها . وما الحكمة من إنزالها ؟
- ٢ - اذكر أقسام الناس بالنسبة إلى الإيمان بالكتب الإلهية .
- ٣ - كيف يكون الإيمان بالقرآن الكريم ؟ وما الميزة التي خص بها من بين سائر الكتب ، ولماذا ؟



الفصل الرابع الإيمان بالرسول



الرسول جمع رسول وهو من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه . فهم الوساطة بين الله وخلقه في تبليغ رسالته إليهم وإقامة الحجّة عليهم ووجوب اتباعهم وطاعتهم .

 معنى الإيمان بالرسول :

الإيمان بالرسول معناه التصديق برسالتهم والإقرار بنبوّتهم فظاهراً وباطناً ، واعتقاد صدقهم فيما أخبروا به عن الله وبلغوه من الرسالات . وأنهم بلغوا غاية البلاغ وبنوا للناس ما لا يسمع أحداً جهلاً .

 الحكمة من إرسال الرسول :

إرسال الرسول هو بالإضافة إلى إقامة حجة الله على عباده نعمة عظيمة من الله ؛ لأن حاجة البشرية إليهم ضرورية فلا تنظم لهم حال ولا يستقيم لهم دين إلا بهم ، فهم يحتاجون إلى الرسل أشد من حاجتهم إلى الطعام والشراب ؛ لأن الله سبحانه جعل الرسل وسائط بينه وبين خلقه في تعريفهم بالله وبما ينفعهم وما يضرهم ، وفي تفصيل الشرائع ، والأمر والنهي ، والإباحة والبيان ما يحبه الله وما يكرهه . فلا سبيل إلى معرفة ذلك إلا بالرسول . فإن العقل لا يهتدي إلى تفصيل هذه الأمور وإن كان يدرك الضرورة إليها من حيث الجملة . قال تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۗ ﴾ (الآية ٢١٣ من سورة البقرة).

وحاجة الناس إلى الرسالات أشد بكثير من حاجة المريض إلى الطبيب ، فإن غاية ما يحصل بعدم وجود الطبيب تضرر البدن . والذي يحصل من عدم وجود الرسالات تضرر القلوب . ولا بقاء لأهل الأرض إلا ما دامت آثار الرسالة موجودة فيهم . فإذا غابت آثار الرسالة قامت الضيامة وانتهت الدنيا . وذلك إذا رفع القرآن ولم يبق في الأرض من يقول : الله ، الله كما في الأحاديث.

كيفية الإيمان بالرسول :

يجب علينا الإيمان بجميع الرسل الذين ذكرت أسماؤهم في القرآن بأعيانهم وهم خمسة وعشرون ، منهم ثمانية عشر ذكرهم الله في قوله : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن ذُنُوبِهِ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ٨٢ ٨٣ ﴾ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ٨٤ ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الْمُتَصَلِّينَ ٨٥ ﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ٨٦ ﴾ (الآيات ٨٢ - ٨٦ من سورة الأنعام).

والباقون وهم سبعة ^(١) ذكروا في آيات متفرقة ، فهؤلاء ثمن بأعيانهم ، ومن لم يسم منهم في القرآن وجب الإيمان بهم إجمالاً ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَن قُتِلَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ يَنفُتْصِ عَلَيْهِمْ ٧٨ ﴾ (غافر آية ٧٨) .

والذي يكفر برسول واحد يكون كافراً بجميع الرسل حتى بالرسول الذي زعم أنه مؤمن به ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَسْجُدُوا لِمَن دُونِ اللَّهِ أَتِلْكَ سَبِيلًا مُّسْتَقِيمًا ١٥٠ ﴾ (النساء ١٥٠ - ١٥١) .

وقال تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا يَفْرِقُونَ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ٢٨٥ ﴾ (آية ٢٨٥ من سورة البقرة) .

﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ١٣٦ ﴾ فَإِنَّمَا أَسْمَاؤُا

(١) وهم : آدم وشيث وإدريس وهود وصالح وشعيب وذو الكفل - عند كثير من المفسرين / انظر تفسير ابن كثير (ج ١ / ٥٨٥) مع ملاحظة ان شيئاً لم يرد اسمه في القرآن وإنما ورد في حديث أبي ذر .

يَسْئَلُ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ أُهِتَ دُؤَانُ أَنْ تُولُوا إِلَهُائِهِمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٧٢﴾ ﴿سورة البقرة﴾.

وذلك لأن الرسل عليهم الصلاة والسلام دينهم واحد ، وهم سلسلة واحدة يبشر أوليهم بآخرهم ويصدق آخرهم بأولهم . ولأن أدلة نبوتهم متماثلة ، وطريقهم في الدعوة إلى الله واحد ، فمن كذب بواحد منهم فهو مكذب للجميع ، لأن هذا الذي كذب به معه من الأدلة على صدق رسالته من جنس ما مع الرسول الذي صدق به أو أبلغ .

والإيمان بمحمد ﷺ يتضمن الإيمان بخصائصه ، ومن أعظمها عموم رسالته للناس كافة ، ويقاؤها إلى أن تقوم الساعة . فهو خاتم النبيين ، لا نبي بعده ، وهو أفضل الرسل على الإطلاق ، فمن ادعى النبوة بعده أو صدق من يدعيها فهو كافر مرتد عن دين الإسلام .

الأسئلة :

- ١ - ما المراد بالرسول ؟ وما معنى الإيمان بهم ؟ وما الحكمة في إرسالهم إلى البشر ؟
- ٢ - اذكر الآيات التي بها أسماء بعض الرسل . وما الدليل على أن هناك رسلاً لم تذكر أسماءهم ؟ وما كيفية الإيمان بمن سمي منهم ومن لم يسم ؟
- ٣ - ما حكم من آمن ببعض الرسل وكفر ببعضهم الآخر ؟ مع الاستدلال لذلك .

الفصل الخامس الإيمان باليوم الآخر

اليوم الآخر هو يوم القيامة سمي بذلك لأنه بعد الدنيا .

والإيمان باليوم الآخر : هو أن يصدق بكل ما بعد الموت من عذاب القبر ونعيمه ، وبالبعث بعد ذلك والحساب والميزان والثواب ، والعقاب والجنة والنار ، وكل ما وصف الله به يوم القيامة ، وسمي باليوم الآخر لتأخره عن الدنيا . وسمي بعدة أسماء لشدة هولاه وما يحدث فيه . وقد دلت على ثبوته ووجوب الإيمان به جميع الشرائع السماوية ، وشهدت به العقول والفطر السليمة ، وقد تنوعت أدلة البعث المذكورة في القرآن الكريم .

١ - فتارة يخبر عن أمانتهم ثم أحياءهم في الدنيا - كما حصل لقوم موسى الذين قالوا : أرنا الله جهنمة ، قال تعالى : ﴿ فَأَخَذْنَاكُمْ الصَّنِيعَةَ وَأَنْتُمْ تُنْظَرُونَ ﴾ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ (سورة البقرة).

وعن ﴿ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَخْيَبَهُمْ ﴾ (الآية ٢٤٣ من سورة البقرة).

وعن الذي مر على قرية خاوية على عروشها وذلك في قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴾ (الآية ٢٥٩ من سورة البقرة).

وعن إبراهيم - عليه السلام - لما سأله ربه : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِكَ ثُبُورٌ قَالَ بَلَىٰ وَلَئِنْ لَمْ تَنْطَحِبْ فَلِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (سورة البقرة).

فالذي قدر على إحياء هؤلاء بعد موتهم في الدنيا قادر على إحيائهم في الآخرة . وكما في قصة القليل الذي أشبهه بنو إسرائيل في قاتله فلم يعرفوه فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه بجزء منها ففعلوا فأحياء الله وأخبرهم بقاتله . كما ذكر الله ذلك في أول سورة البقرة قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَخِذْنَا هَذَا قَالِ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٦٧) قَالُوا أَدْعُ لِنَارِكَ يَبْنَ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَأَفْعَلُوا مَا تُمَرُونَ ﴾ (٦٨) قَالُوا أَدْعُ لِنَارِكَ يَبْنَ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾ (٦٩) قَالُوا أَدْعُ لِنَارِكَ يَبْنَ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْذُونَ ﴾ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شَبَهَ فِيهَا قَالُوا أَالَئِنْ جِئْتَ بِالْحَقِّ قَدْ جَئْنَاكَ بِهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (٧١) وَإِذْ قُلْنَا نَقُ فَادْرَأْهُ ثُمَّ فِيهَا وَاللَّهُ يُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُعَذِّبُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُزِيلُ عَنْهُمْ عَذَابَهُمْ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٧٣) ﴿

٢ - وثارة يُستدل عليه بالنشأة الأولى - فإن الإعادة أسهل من الابتداء في نظر العلول وإن كان الله لا يعجزه شيء . قال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْتُم مِّن قَبْلٍ ﴾ (آية ٥ من سورة الحج).

﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (آية ٧٩ من سورة يس) .
 ﴿ فَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (آية ٥١ من سورة الإسراء) .
 ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (سورة الروم) .
 ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (سورة الروم) .

٣ - ونارة يُسندلُ على ذلك يخلق السماوات والأرض ؛ فإن خلقهما أعظم من خلق الإنسان وإعادته كقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَكُنْ لِحَافِهِنَّ بَقْدِيرٌ عَلَى أَنْ يُخْرِجَ الْمُوتَى بَلْعًا إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (سورة الأحقاف).

٤ - ونارة يُسندلُ عليه بتنزيه الله عن العيب كما قال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنْ تُخَلِّقُوا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلًا وَإِنَّكُمْ إِلَيْنَا لَارْجِعُونَ ﴾ (سورة المؤمنون).

﴿ أَحَسِبَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَبْرُكَ سُدًى ﴾ (١٣) ﴿ التَّوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ مِنْ يَوْمٍ بَعَثْنَا فِي نَبِيِّ رَبِّنَا ﴿١٤﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ فَتَنَّا ﴿١٥﴾ فَعَمِلُوا فِيهِ الزُّبُرِينَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ الْأُنثَى ﴿١٧﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ نَخْلِقَ لَكَ الْوَتَّى ﴿١٨﴾ ﴾ (سورة القيامة).

فالناس في هذه الدنيا منهم المحسن ومنهم المسيء ، وقد يموتون ولا ينال أحدهم جزاء عمله فلا بد من دار أخرى يجازون فيها ؛ لأن هذا هو اللائق بحكمة الله وعدله ، وتنزيهه عن العيب والظلم.

👉 من ثمرات الإيمان باليوم الآخر :

الإيمان باليوم الآخر يحمل الإنسان على العمل الصالح وفعل الإحسان ، والامتناع عن الظلم والعدوان والاستعداد لهذا اليوم ، وعدم الإيمان به على العكس من ذلك يحمل الإنسان على الكفر والفسوق والبغي والعدوان . وأن يعيش كالحبوان المفترس لا يحاسب نفسه عما يفعل ولا يفكر في مصيره .

الأسئلة :

- ١ - ما المراد بالإيمان باليوم الآخر ؟ وماذا يشمل ؟ ولماذا سمي باليوم الآخر ؟
- ٢ - اذكر أنواع الأدلة التي ذكرها الله على ثبوت اليوم الآخر .
- ٣ - اذكر شيئاً من ثمرات الإيمان باليوم الآخر .

الفصل السادس

الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره

والقدر مصدر : قَدَرَ يَقْدِرُ قَدْرًا ، وقد تُسَكَّن داله . هو ما قضاه الله وحكم به من الأمور ^(١) - أي الأمور الكونية . وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : واللفظ المقدر يراد به التقدير . ويراد به المقدر ^(٢) .
والإيمان بالقدر : هو التصديق الجازم بأن كل خير وشر هو بقضاء الله وقدره ، وأنه الفاعل لما يريد .

🔥 مذهب أهل السنة والجماعة في القضاء والقدر :

مذهب أهل السنة والجماعة هو الإيمان بالقدر خيره وشره ، وأن كل ما يحدث في هذا الكون قد علمه الله وقدره وأرادَه فلا يكون في ملكه ما لا يريد .

🔥 درجات القضاء والقدر التي يجب الإيمان بها :

والإيمان بالقدر يتضمن أربع درجات :

الدرجة الأولى : الإيمان بعلم الله الأزلي بكل شيء قبل وجوده . ومن ذلك علمه بأعمال العباد قبل أن يعملوها .

الدرجة الثانية : الإيمان بأن الله كتب ما يحدث في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة .

الدرجة الثالثة : الإيمان بمشيئة الله الشاملة لكل حادث ، وقدرته التامة على خلقه وإيجاده .

الدرجة الرابعة : الإيمان بإيجاد الله لكل المخلوقات . وأنه الخالق وحده . وما سواه مخلوق .

(١) النهاية في غريب الحديث (٤ / ٢٢) .

(٢) مجموع الفتاوى (٨١ / ١٤٠) .

✎ أدلة هذه المراتب الأربع :

من أدلة المرتبة الأولى والثانية قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (سورة الحج).

ومن أدلة المرتبة الثالثة قوله تعالى :

﴿ وَمَا قَسَاءُونَ إِنْ لَأَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (سورة التکویر).

ومن أدلة المرتبة الرابعة قوله تعالى :

﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (سورة الزمر).
﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة الصافات).

✎ من ثمرات الإيمان بالقدر :

- ١ - صحة إيمان العبد بتكامل أركان الإيمان لديه ؛ لأن من أنكر القدر لا يكون مؤمناً ؛ لأنه نقض ركناً من أركان الإيمان .
- ٢ - ومن ثمراته : طمأنينة القلب وارتياحه وعدم القلق في هذه الحياة عندما يواجه المكاره ؛ لأنه إذا علم أن الذي يصيبه مقدر عليه لا بد له منه فإنه لا يقلق ولا يجزع ؛ بل يصبر ويرضى ويسلم .
- ٣ - أن الإيمان بالقدر يدفع إلى العمل والتوكل على الله ولا يكون الإنسان أسير الأوهام والخضوع للمخلوقين ؛ لأنه يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه . وأن الخلق ليس بأيديهم عطاء ولا منع ولا ضرر ولا نفع إلا بإذن الله تعالى والله أعلم .

الأسئلة :

- ١ - ما المراد بالقدر ؟ وما مذهب أهل السنة والجماعة حياله ؟
- ٢ - اذكر الدرجات التي يتضمنها الإيمان بالقدر مستدلاً لها .
- ٣ - اذكر شيئاً من ثمرات الإيمان بالقدر .



الباب الثاني

براهين وحدانية الله تعالى واستحقاقه للعبادة دون سواه

ويتكوّن من الفصول الآتية :


الفصل الأول : برهان القطرة .

الفصل الثاني : برهان الخلق والإبداع .

الفصل الثالث : برهان اتساق النظام الكوني .

الفصل الرابع : برهان الكمال الإلهي وغناه عن كل مخلوق

وفقر كل مخلوق إليه .



أهمية الإيمان بالله :

الإيمان بالله سبحانه هو الأصل الأول من أصول الإيمان كما تقدم بيانه - وهو يتضمن الإقرار بربوبية وألوهيته وأسمائه وصفاته - ولأهمية هذا الأصل وكونه أصل الأصول وللب العقيدة اقتضى الأمر التركيز عليه بصفة خاصة وبيان أدلته حتى يترسخ في نفس المسلم ، وليتمكن من رد الشبه التي يروجها المشركون والملحدون.

مكانة التوحيد في القرآن الكريم :

غالب سور القرآن في التوحيد ، بل كل سور القرآن في التوحيد ؛ لأن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته ؛ وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وترك ما يعبد من دونه ، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته ، وإما خبر عن إكرامه لأهل التوحيد ، وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيدهم ، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال ، وما يحل بهم في الآخرة من العذاب فهو جزاء من خرج عن التوحيد - فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه ، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم .

الفصل الأول

برهان الفطرة

الفطرة: مأخوذة من الفطر - بفتح الفاء وسكون الطاء - وهو الإبداء والاختراع . ويراد بها الطبع والجملة . ويراد بها هنا دين الإسلام . كما قال تعالى : ﴿ فَأَقْدَمَ عَلَيْكَ الَّذِينَ حَتَفُوا فَعَرَجْتُ إِلَيْكَ الْفِطْرَةَ ﴾ (الأناس ٣٠ من سورة الروم).

وقال النبي ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة »^(١) ومعناها أن فطرته مقتضية لدين الإسلام والإقرار به ومحبته . ففطر الفطرة تستلزم الإقرار بخالقها ومحبته وإخلاص الدين له . وموجبات الفطرة ومقتضياتها تحصل شيئاً بعد شيء بحسب كمال الفطرة إذا سلمت من المعارض . فقد دل الكتاب والسنة والآثار واتفاق السلف على أن الخلق مفلحون على دين الله الذي هو معرفته والإقرار به ومحبته والخضوع له ، وأن ذلك موجب فطرتهم ومقتضاها يجب حصوله فيهم إن لم يحصل ما يعارضه ويقضي حصول ضده^(٢) . فكل مولود يولد على معرفة الله والإقرار به فلا تجد أحداً إلا وهو يقر بأن له صانعاً^(٣) . فالإقرار بالخالق مركز في الفطر - وإنما تظاهر من تظاهر بإنكاره كفرعون من باب المكابرة والتعناد . ولهذا قال له موسى عليه الصلاة والسلام كما قال الله تعالى : ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَذِهِ السَّمَاءَ وَآلَ الْأَرْضِ بِصَاحِرٍ ﴾^(٤).

وقال تعالى : ﴿ وَحَدِّثُوا بِهَا وَأَسْتَفِضُّنَهَا أَنْفُسَهُمْ فَلْيَأْمُرُوا بِالْعَمَلِ ﴾ (آية ١٤ من سورة النحل)
وقال تعالى : ﴿ وَعَمَّا ذَاؤُنْكُمُودَ أَوْفَدَ بَنِيكَ لَكُمْ مِنْ مَسْلُكِهِمْ وَذَرِكُمْ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُصْتَبِرِينَ ﴾ (سورة العنكبوت).

(١) في الصحيحين . (٢) ابن القيم في شفاء العليل صفحة ٣٨٨ ، ٤٠٥ . (٣) ابن الأثير في النهاية (٣/ ٤٤٧).

(٤) الآية ١٠٢ من سورة الإسراء . والآية التي قبلها : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا بِأُتْمَلَكِهِ أَنْ يَأْتِ بِقَوْمٍ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَنُسُوحٍ يَأْتُونَ صُلُوحًا ﴾

يَأْتُونَ صُلُوحًا ﴿١٠١﴾

فالأيات تدل على أن هؤلاء الكفار يعرفون الخالق سبحانه بحجبه فطرهم ، ويتجهون إليه في حال ضرورتهم كما قال تعالى :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُو إِلَّا إِلَهُهُ ﴾ (آية ٦٧ من سورة الإسراء).

﴿ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَاجٌ كَافُتٌ لِّلْغُلُوقِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُمُ الدِّينَ ﴾ (آية ٣٢ من سورة لقمان).

فدل ذلك على أن النفوس البشرية مفضولة على الإقرار بالخالق ، ولكن يعرض لها صوارف تغطي هذه الفطرة . فإذا حصلت الشدة انقضت هذه الصوارف وعادت النفوس إلى فطرتها الحقيقية فاتجهت إلى خالقها وحده تطلب منه النجاة والإنقاذ . وإنك لتجد هذا الانجاء الفطري في الأطفال والعوام الذين لم يتعلموا طرق الاستدلال. تجدهم يتجهون إلى الله دون مرشد يرشدهم من الخلق إلى ذلك أو يلقيهم إياه (فطرة الله التي فطر الناس عليها) مما يدل على أن إثبات الخالق أمر فطري ضروري وإن تظاهر بعض المتكبرين والمكابرين بإنكاره فهم إنما ينكرون فطرتهم وعقولهم . وكذلك من اتجهوا بعبادتهم ودعواتهم إلى سواه من الأوثان والقبور والأولياء والصالحين يخالفون مقتضى الفطرة التي فطروا عليها ؛ لأنهم قد اجنأهم عنها شياطين الإنس والجن ، وأعمى بصائرهم التقليد الأعمى ، ولو رجعوا إلى عقولهم لاستعادوا فطرتهم التي سلبت منهم بأيدي أعدائهم ، ولهذا احتج الله عليهم بما استقر في فطرتهم من معرفته والإقرار بوحدانيته في الخلق والتدبير على ما أنكروه من وحدانية في الألوهية والعبادة . حيث عبدوا معه غيره . واتجهوا إلى سواه ، فقال تعالى : ﴿ وَحَدِّثُوا إِنَّمَا وَاسِطَتُهُمْ نَارٌ كَأَوَّلَ يُنَادُوا نُورًا ﴾ (آية ١٤ من سورة النمل).

﴿ قَالَ لَقَدْ جِئْتُمَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَارَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ ﴾ (الإسراء ١٠٢).

﴿ وَزَرَّتْ لَهُمُ الشَّيَاطِينُ أَغْنَتْهُمْ فَصَدَّوْهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ (سورة العنكبوت).

وذلك لما دعيتهم الرسل إلى عبادة الله.

- ١ - بين كيفية احتمال القرآن الكريم على بيان التوحيد وأدلته ، ولماذا ؟
- ٢ - بين المراد بالفطرة . وما الدليل على أن كل مولود يولد عليها ، وما معنى ذلك ؟
- ٣ - اذكر شيئاً من الأدلة على أن الفطرة تعرف الخالق وتقر به .
- ٤ - كيف تجيب عن كون بعض الخلق كفرعون والشبرعين أنكروا وجود الخالق ؟ وما الأدلة على بطلان قولهم ؟
- ٥ - ما السبب في كون المشركين يخلصون لله في حال الشدة ؟
- ٦ - ما وجه الاستدلال بالفطرة على بطلان الشرك ؟

الفصل الثاني

برهان الخلق والإبداع

من أعظم البراهين على وحدانية الله تعالى الخلق والإبداع الذي انفرد الله تعالى به وأقامه دليلاً على استحقاقه للعبادة وبطلان عبادة ما سواه . قال تعالى : ﴿ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۝١٥﴾ (سورة الرعد).

أي هل هؤلاء الذين اتخذوا شركاء لله خلقوا خلقاً يشبه ما خلقه الله حتى يشركوهم معه في العبادة ويساووهم به ؟! كلا ليس الأمر كذلك ، فإن الله هو المنفرد بالخلق والإبداع فيجب أن يفرده بالعبادة - وقال تعالى : ﴿ أَمَّنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝١٧﴾ (سورة النحل) ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۝١٨﴾ (سورة لقمان الآية ١٨).

ولهذا حث سبحانه على النظر في آياته الكونية الدالة على وحدانيته في الخلق والإبداع واستحقاقه للعبادة دون سواه وذلك :

١ - في النظر في الأرض وما بث فيها من مخلوقات :

قال تعالى : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُذْنِبِينَ ۝١٩﴾ (سورة الذاريات).

﴿ أَرَأَيْتُمْ الْأَرْضَ وَمَنْ يَخْلُقُهَا ۝٢٠﴾ إلى قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا الْفَاقَ ۝٢١﴾ (سورة النبا).

وقال تعالى : ﴿ وَالْأَرْضُ مَدَدَتْهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْحَنَا وَاتَّخَفْنَا مِنْ كُلِّ دَفْعٍ ۝٢٢﴾ (سورة ق).

وقال تعالى : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قُطْعٌ شُجُورٌ وَحَبَّتُمْ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخْلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَجِدٍ وَنَقِضُ نَعْصَهَا عَنْ بَعْضٍ فِي الْأَكْثَلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٢٣﴾ (سورة الرعد).

وفي هذه الآيات الكريمة بوجه سبحانه الأنظار إلى التفكير في خلق الأرض من حيث سعة رقعتها حتى تستوعب المخلوقات التي تعيش على ظهرها على اختلاف أصنافها وطوائعها ، وجعلها ممدودة ممتدة مشبة بالجبال الرواسي لتلاقيها بأهلها . وأثبت فيها من مختلف النباتات التي يقطن منها مكان تلك الأرض ، وهي على رغم اتحاد منبتها ومادة سقيها مختلفة الطعوم والروائح والمنافع مما يدل على قدرة خالقها ، وسعة علمه ، وبالغ حكمته ، وبإسراع رحمته ، وانفراده بالخلق والإبداع ، واستحقاقه للعبادة :

تأمل في نباتات الأرض وانظر
عبيون من حين ناظرات
إلى آثار ما صنع المليك
بأحداق هي الذهب السبيك
على قضيب الزبرجد شاهدات
بأن الله ليس له شريك

قال العلامة ابن القيم : ثم تأمل خلق الأرض على ما هي عليه حين خلقها واقفة ساكنة لتكون مهاداً ومستقراً للحيوان والنبات والأمتعة . ويتمكن الحيوان والناس من السعي عليها في عآريهم والجلوس لراحاتهم والنوم لهدوئهم ، والتمكن من أعمالهم . ولو كانت رجراجة متكففة لم يستطيعوا على ظهرها قراراً ولا هدوءاً ولا ثبت لهم عليها بناء ، ولا أمكنهم عليها صناعة ولا تجارة ولا حراثة . ثم تأمل الحكمة العجيبة في الجبال التي يحسبها الجاهل الغافل فضلة في الأرض ولا حاجة إليها وفيها من المنافع ما لا يحصى إلا خالقها وناصبها - فمن منافعها أن الثلج يسقط عليها فيبقى في قلالها حاصلاً لشراب الناس إلى حين نفاذه ليلذوب أولاً فأولاً فتجيء منه السيول الغزيرة وتسيل منه الأنهار والأودية فينبعث في المروج والوهاد والربا ضروب النبات والفواكه والأودية التي لا يكون مثلها في السهل والرعيل ، ومن منافعها ما يكون في حصونها وقللها من المغارات والكهوف المعافل التي هي بمنزلة الحصون والقلاع ، وهي أيضاً أكنان للناس والحيوان ، ومن منافعها ما ينحت من أحجارها للأبنية على اختلاف أصنافها ، ومن منافعها ما يوجد فيها من المعادن على اختلاف أصنافها . ثم تأمل الحكمة الإلهية في إخراج الأقوات والثمار والحبوب والفواكه متلاحقة شيئاً بعد شيء متتابعة ولم يخلقها كلها جملة واحدة . فإنها لو خلقت كذلك على وجه الأرض ولم تكن تنبت على هذه السورق والأغصان لدخل الخلل وفاتت المصالح التي رتب على تلاحقها وتتابعها فإن كل فصل وأوان يقتضي من الفواكه والنبات غير الذي يقتضيه الفصل الآخر . ثم إنه سبحانه خلق تلك الأقوات مقارنة لمنافع آخر من العصف والخشب والورق والنور والسعف

والكرب وغيرها من منافع النبات والشجر غير الأقوات كعلف البهائم وأداة الأحياء والسفن والرحال والأواني وغيرها . ومنافع النور من الأدوية والمنظر البهيج الذي يشوق الناظرين . وحسن مرآتي الشجر وخلقتها البديعة شاهدة لفاطرها ومبدعها بغاية الحكمة واللفظ^(١) فهذا برهان قاطع على وحدانية الله وقدرته وقهره وأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له والمستحق للحمدة والشكر .

﴿ ٢ - النظر في السماء وما فيها من الكائنات : ﴾

قد يراد بالسماء كل ما علا وأرتفع ، ويراد بها في الغالب السماء المبنية والسبع الطباق التي جعلها الله مقفاً لما تحتها - قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ مَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾ (سورة الأنبياء).

قال تعالى : ﴿ الزُّرُّوا كَيْفَ خَلَقَ آدَمَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ۚ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ۚ ﴾ (سورة نوح).

وقال تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن مِّثْلِهِ ۚ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۚ ﴾ (سورة الملك).

فتأمل خلق السماء وارجع البصر فيها كرة بعد كرة كيف تراها من أعظم الآيات في علوها وارتفاعها وسعتها وقرارها ، لا عمد تحتها ولا علاقة فوقها ، بل هي ممسوكة بقوة الله الذي يمسك السموات والأرض أن تَزولا . ثم تأمل استواءها واعتدالها فلا صدع فيها ولا فطر ولا شق ، ثم تأمل ما زينته به السماء الدنيا من المصابيح المتوقدة الجميلة ، وانظر إلى هذه الشمس المشرقة والشمس المبر . ثم تأمل في هذا الفضاء الراسع بين السماء والأرض يسير فيه السحاب وتخلق فيه الطير بأجنحتها ما يمكنهن إلا الله وتخلق فيه السفن الفضائية والطائرات الفخمة التي تقلل الجماعات الكبيرة من الناس وتحمل الأثقال العظيمة من الأمتعة ولهذا بوجه الله الأنظار للتفكر في هذه الآيات الكونية العلوية قال تعالى :

﴿ فِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُغْدُونَ ۚ ﴾ (سورة الذاريات).

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا مُوسِعُونَ ۚ ﴾ (سورة الذاريات).

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكَ إِلَى السَّمَاءِ فَتَعْلَمَ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَكُم مِّنْ فُرُوجٍ ۚ ﴾ (سورة ق).

(١) انظر مفتاح دار السعادة صفحة ٢٣٦ ، ٢٤٣ - ٢٤٤ .

في الآية الأولى يخبر أن رزق العباد في السماء وهو المطر الذي ينبت الله به الزروع والأشجار المثمرة . وفيها ما يوعدون من الجنة والثواب . وفي الآية الثانية يخبر سبحانه عن السماء أنها من جملة مخلوقاته مع عظمها وسعتها مما يدل على عظمة خالقها وقوته وقدرته . وفي الآية الثالثة بحث على النظر والشكر في السماء التي فوق العباد وما فيها من إحكام البناء وقوته ، وصفاء اللون ، وزينة الكواكب وسلامتها من الشقوق والتصدع مع سعتها وامتدادها - كل هذه الآيات في السموات تدل على وحدانية الخالق وعظيم قدرته ، واستحقاقه للعبادة وحده لا شريك له ، فكما أنه لا شريك له في خلق هذه الأشياء العظيمة فلا يجوز أن يشرك معه أحد في عبادته ممن ليس له خلق ولا إبداع ولا تدبير ، فهي برهان قاطع على وحدانية الله سبحانه وتعالى وعظيم سلطانه - قال فس بن ساعدة^(١) في إحدى خطبه : ليل داج ، ونهار ساج ، وسماء ذات أبراج ، ونجوم تزهّر ، وبحار تزخر ، وجبال مرساة ، وأرض مدحاة ، وأنهار مجهزة ، إن في السماء خبيراً ، وإن في الأرض لخبيراً.

٣- النظر في خلق الإنسان وما فيه من العجائب :

يقول الله تعالى : ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (سورة الذاريات) .
 ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴾ (سورة الروم) .
 ﴿ وَضَرَبَ آتَا مَثَلًا وَلَيْسَ خَلْقُكَ قَالَ مَنْ يُعْطِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ (٣٥) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (٣٦) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ عَنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ (٣٧) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِنْ لَدُنْهِ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ (٣٨) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٣٩) فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدْعُو مَلَكَوْتُ كُلِّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهِ لِيَرْجِعُوهنَّ ﴾ (سورة يس) .

وقال تعالى : ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (٤٠) (آية ٣ من سورة التغابن) .

(١) من خطباء العرب في الجاهلية .

وقال تعالى ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (سورة التين).

في هذه الآيات يوجه الله الإنسان إلى أن ينظر في نفسه وعجيب خلقه وبديع تركيبه مما يدل على عظمة خالقه وعلمه وقدرته وحكمته ، وأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له . وأن هذا الإنسان مخلوق ضعيف محتاج إلى خالقه لا غنى له عنه طريقة عين فكيف يستكبر عن عبادة ربه ، كيف يتجبر ويظلم ويظلم ويبغي ويجور . فأصله مخلوق من تراب حيث خلق آدم أبو البشر - عليه السلام - الذي تناسلت منه هذه المجموعات البشرية الهائلة التي انتشرت في الأرض على امتدادها . كيف تحول هذا التراب إلى بشر وتخلق منه كائن حي عاقل مفكر ! وكيف نتجت عن هذا الكائن تلك المجموعات الهائلة والقرون المتتالية ! ثم من عجيب أمر هذا الإنسان ألا يتفكر في نفسه وعجيب خلقه . وحينما أخبر أن هناك حياة بعد الموت وداراً غير هذه الدار وأمر بالاستعداد لهذا الأمر وأنكره . ونفى أن يكون هناك بعث ونشور . وكيف يمكن هذا في نظره وقد فنيت الأجسام وبليت العظام وتفرقت الأعضاء وتفككت الأوصال . نسي خلقه الأول وإيجاده من عدم وأن الذي قدر على البدء قادر على الإعادة من باب أولى :

﴿وَهُوَ الَّذِي يَرْسُدُ الْفُلَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُنْزِلُ السَّمَاءَ مَاءً فَتَخِلُّهُ الْأَنْهَارُ وَثَلَاثُ يَوْمٍ تَذُوقُ ثَمَرَهُ﴾ (سورة الروم).

يقول العلامة ابن القيم : وهذا كثير في القرآن يدعو العبد إلى النظر والفكر في مبدأ خلقه ووسطه وآخره . إذ نفسه وخلق من أعظم الدلائل على خالقه وفاعله . وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه . وفيه من العجائب الدالة على عظمة الله ما تنفسي الأعمار في الوقوف على بعضه . وهو غافل عنه معرض عن التفكر فيه . ولو فكر في نفسه لجزء ما يعلم من عجائب خلقها عن كثره . قال الله تعالى :

﴿قُلْ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُ﴾ (١٧) ﴿مِنْ أَمْرِ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ (١٨) ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾ (١٩) ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُهُ﴾ (٢٠) ﴿ثُمَّ أَمَّا تَرَاهُ إِذَا مَرَّ﴾ (٢١) ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾ (٢٢) (سورة عبس).

فلم يكرر سبحانه على أسماعنا وعقولنا ذكر هذا لنسمع لفظ النطفة والعلقة والمضغة والتراب ، ولا لتكلم بها فقط ، ولا لمجرد تعريفنا بذلك ، بل لأمر وراء ذلك كله هو المقصود بالخطاب (١).

(١) مفتاح دار السعادة صفحة ٢٠٥ ، ومראה ما وراء ذلك عبادة الله وحده حيث هو المظهر بخلق هذا الإنسان الذي كفر به.

وهذا الإنسان حين يسأل يعترف بأن الله هو الذي خلقه :

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (الزخرف).

ومع هذا هناك من يتجه بعبادته إلى غير خالقه ويشرك مع الله من لا يملك له نفعاً ولا ضرراً، ومن ثم كان جرمه أشد الجرم وذنبه أعظم الذنب ، ففي الحديث لما سئل النبي ﷺ : «أي الذنب أعظم قال أن تجعل لله نداً وهو خلقك»^(١) . وهو معترف أيضاً أن هؤلاء الشركاء الذين اتخذهم مع الله لا يملكون له موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُعْجِبُكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ دَلِيلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ وَشِيعَتِكُمْ وَتَعَلَىٰ عَمَّا تَشْرِكُونَ ﴾ (سورة الروم).

لا أحد منهم يقدر ولو من باب المكابرة أو يتجرأ على أن يدعي أن هذه المعبودات الوثنية تقامر على الخلق والرزق والإماتة والإحياء ، فلماذا إذن يشركونها مع الله في العبادة مع قيام البرهان على بطلان عبادتها .

٤ - ما جاء في القرآن الكريم :

ما جاء في القرآن الكريم من لفت النظر إلى قدرة الله تعالى على إيجاد الخلق في المادة الميتة الجامدة وإخراج الحي من الميت ومن بديع خلق الله وعجيب وباهر قدرته سرعان الحياة في المواد الميتة ومن ذلك :
أولاً - خلق آدم من تراب :

قال تعالى : ﴿ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴾ (سورة الحجر).

﴿ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴾ (سورة ص).

كيف تحول هذا التراب وهذا الطين إلى لحم ودم وعظم وعروق وسمع وبصر إلى غير ذلك !

ثانياً - خلق بني آدم من الماء :

قال تعالى : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۚ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾ (سورة الطارق).

(١) رواه البخاري ومسلم .

كيف خلق من هذا السائل المهيّن هذا الإنسان العجيب . قال الإمام ابن القيم رحمه الله : فانظر الآن إلى النطفة بعين البصيرة ، وهي قطرة من ماء مهين ضعيف مستقذر ولو مرت بها ساعة من الزمان فسدت وأنتنت . كيف استخرجها رب الأرباب العليم القدير من بين الصلب والترائب متفاداة لقدرته مطيعة لمشيئته مذلة الانقياد على ضيق طرقها واختلاف مجاريها إلى أن ساقها إلى مستقرها ومجمعها . وكيف جمع سبحانه بين الذكر والأنثى وألقى المحبة بينهما . وكيف قادهما بسلسلة الشهوة والمحبة إلى الاجتماع الذي هو سبب تخليق الولد وتكوينه . وكيف قدر اجتماع ذينك الماءين مع بعد كل منهما عن صاحبه ، وساقتهما من أعماق العروق والأعضاء وجسمهما في موضع واحد جعل لهما قراراً سكيناً لا يناله هواء فيفسد . ولا برد فيجمد ولا عارض يصل إليه ولا آفة تسلط عليه . إلى أن قال : فارجع إلى النطفة وتأمل حالها وما صارت إليه ثانياً . وأنه لو اجتمع الإنس والجن على أن يخلقوا لها سمعاً وبصراً أو عقلاً أو قدرة أو علماً أو روحاً . بل عظماً واحداً من أصغر عظامها بل عرقاً من أدق عروقها . بل شعرة واحدة لعجزوا عن ذلك . بل ذلك كله آثار صنع الله الذي أنقذ كل شيء في قطرة من ماء مهين^(١) .

ثالثاً : إخراج الحي من الميت :

قال تعالى : ﴿ وَنُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَنُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ (آل عمران آية ٢٧) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ قَالِقُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَنُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ (الأنعام آية ٩٥) .

ومعناه أن الله سبحانه يخرج الحيوان من النطفة وهي ميتة ، ويخرج النطفة من الحيوان . وقيل الفرج من البيضة والبيضة من الطير . وقيل المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن^(٢) . والكل حاصل وهو دليل على عجيب قدرة الله ومحيط علمه بكل شيء .

رابعاً : سريان الحياة في المادة الميتة :

قال تعالى : ﴿ وَمَا يَكُنْ مِنَ الْأَرْضِ نَبْئَةٌ أَحْيَيْتَهَا وَأَخْرِجْنَاهَا حَيْثُ بِأَسْكُونُ ﴾ (سورة يس) .

قال تعالى : ﴿ وَنَرَى الْأَرْضَ بَارِئَةً فَلَمَّا أَزَلْنَا عَنْهَا آلَمَاءَ هُمْرَتٍ وَرَبَّاتٍ وَالْأَنْثَى مِنْ كُلِّ دَاجٍ ﴾ (سورة هود آية ٦٤) .

رُوحَ بَهِيمٍ ﴿ (سورة الحج) .

(١) مفتاح دار السعادة صفحة ٢٠٥ ، ٢١١ .

(٢) انظر التفسير البغوي ١/ ٢٩١ .

أليس وجود تربة صالحة كوجود رحم صالحة وماء المطر كماء الفحل ، وتخلق النطفة في الرحم كتخلق البذرة في التربة . وخروج الزرع حياً نامياً كخروج الولد حياً نامياً ، وهكذا إلى حصاد الزرع وموت الإنسان فهذان دليلان عقليان على صحة البعث ^(١) وقدرة الله تعالى ووحدانيته .

خامساً : الموجودات لا بد لها من موجد ووحدته الخلق تدل على وحدانية الخالق :

النتيجة التي يوصل إليها النظر في هذه المخلوقات هي الاستدلال بها على خالقها وعظيم سلطانه ووجوب شكره وذكره وعبادته وحده لا شريك له . فإنها ما خلقت باطلاً ولا أوجدت عبثاً قال تعالى :

﴿ إِنَّا فِي خَلْقِ السَّمَكِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَكِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ ۝ ﴾ (الآيات ١٩٠ - ١٩١ من سورة آل عمران).

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ۝ ﴾ (سورة ص).

والأكثر من الخلق يعترفون ويصرحون بأن الله وحده هو الذي خلق هذه المخلوقات لكنهم يعبدون معه غيره ممن لم يخلق شيئاً :

﴿ وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَكِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَقَالُوا اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْمَكُونَ ۝ ﴾

(سورة العنكبوت).

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَصْنُ يَمْلِكُ الشَّعْصَعِ وَالْأَنْصَرِ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ ﴾ فذال كره الله زمك الحى فملا بعد الحق إلا الضلل فأنى تصرفون ﴿ ١٣٣ ﴾ (سورة يونس).

فليس المقصد من النظر والاستدلال هو الإقرار بوجود الخلاق ؛ لأن الكفار على اختلاف أجناسهم ومللهم يقررون به ، وإنما المقصد إفراده بالعبادة وترك عبادة ما سواه . وإذا كان هناك من نظاهر بإنكار الخالق مكابرة وعناداً وتكبيراً فهذا لا قيمة له في حساب البشرية العاقلة المفكرة ؛ لأنه قد أغنى عقله وسفه نفسه

(١) أبصر الضامير للجواثري (٣/ ١٤١ - ١٤٢).

وصار في عداد البله والمعتوهين - قال الله تعالى : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ (سورة الطور).

المعنى هل خلقوا من غير خالق . هذا لا يعقل لأن كل مخلوق لابد له من خالق - ففسيحة يعرفها حتى الأطفال - وإذا كان لابد لهم من خالق فهل هم خلقوا أنفسهم ؟ هذا محال ؛ لأن الشيء لا يسبق وجوده ، وإذا كانوا عاجزين عن خلق أنفسهم فهم عاجزون عن خلق غيرهم من باب أولى : (أم خلقوا السموات والأرض) - لا - فيستعين أن لهم خالقاً هو الله سبحانه يجب عليهم أن يخضعوا له ويعبدوه وحده لا شريك له .

فواعجبا كيف يعصى الإله	أم كيف يجحده الجاحد
ولله في كل تحريكة	ونسكينة أبدا شاهد
وفي كل شيء له آية	تدل على أنه واحد

ووحدة هذا الخلق وفق نظام واحد كل يؤدي وظائفه المطلوبة منه طائفاً للذي :

﴿ أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ (سورة طه).

لا يستعصى شيء منه عن أداء وظيفته ولا يؤدي وظيفة غيره مما يدل على أن خالقه ومديره واحد ، إذ لو كان له عدة مدبرين لا ختل نظامه تبعاً لاختلاف إرادات المدبرين . قال تعالى :

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (سورة الأنبياء).

فدللت الآية على أنه لا يجوز أن يكون فيهما آلهة متعددة . بل لا يكون الإله إلا واحداً . وعلى أنه لا يجوز أن يكون هذا الإله الواحد إلا الله سبحانه وتعالى . وإن فساد السموات والأرض يلزم من كون الآلهة فيهما متعددة . ومن كون الإله الواحد غير الله . وأنه لا صلاح لهما إلا بأن يكون الإله فيهما هو الله وحده لا غيره . فإن قيامه إنما هو بالعدل وبه قامت السموات والأرض ^(١) قال تعالى :

﴿ عَلَى اللَّهِ خَلْقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ (سورة الرعد)

قال تعالى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا أَذْبَحَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ (سورة المؤمنون آية ٩١).

(١) شرح الطحاوية صفحة ٢٥ .

فتأمل هذا البرهان الباهر بهذا اللفظ الوجيز الظاهر . فإن الإله الحق لا بد أن يكون خالقاً فاعلاً يوصل إلى عابده النفع ويدفع عنه الضر . فلو كان معه سبحانه إله آخر يشركه في ملكه لكان له خلق وفعل ، وحينئذ فلا يرضى تلك الشراكة . بل إن قدر على قهر ذلك الشريك وتصرده بالملك والإلهية دونه فعل . وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه وذهب بذلك الخلق . كما يتفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بملكه إذا لم يقدر المنفرد منهم على قهر الآخر والعلو عليه . فلا بد من أحد ثلاثة أمور :

- ١ - إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه .
- ٢ - وإما أن يعلم بعضهم على بعض .
- ٣ - وإما أن يكونوا تحت قهر ملك واحد يتصرف فيهم كيف يشاء . ولا يتصرفون فيه . بل يكون وحده هو الإله وهم العبيد^(١) .

الأسئلة :

- ١ - ما وجه الاستدلال بالخلق على وحدانية الخالق ؟ واذكر الأدلة على ذلك .
- ٢ - اذكر شيئاً من آيات الله الدالة على وحدانيته في خلق الأرض وما فيها .
- ٣ - اذكر شيئاً من أدلة وحدانية الله في خلق السماء ، وما المراد بالسماء ؟
- ٤ - اذكر شيئاً من أدلة وحدانية الله في خلق الإنسان .
- ٥ - اذكر وجه الاستدلال بخلق آدم وخلق نبيه على وحدانية الله وشيئاً من الآيات التي وردت بذلك .
- ٦ - ما معنى إخراج الحي من الميت وإخراج الميت من الحي ؟ وما وجه الاستدلال بذلك على وحدانية الله ؟
- ٧ - ما وجه الاستدلال بإحياء الأرض على قدرة الله على إحياء السموات يوم القيامة ؟
- ٨ - اذكر الاستدلال على أن المخلوقات لا بد لها من خالق وموجد في العقل والنقل .

(١) شرح الطحاوية صفحة ٢٣ - ٢٤ .

الفصل الدراسي الثاني

الفصل الثالث

برهان اتساق النظام الكوني

براهين الإرادة والنظام والإنسان الكوني والرد على الطبايعيين والقائلين بالمصادفة :

كل نظام مركب متناسق مستقل لا يمكن أن يحدث مصادفة من غير قصد كما يقوله الطبايعيون والقائلون بالمصادفة .

والطبايعيون هم الذين ينكرون وجود الخالق وينسبون وجود الأشياء إلى الطبيعة ، والقائلون بالمصادفة مثلهم ينكرون وجود الخالق وينسبون وجود الأشياء إلى المصادفة^(١) وكلاهما متخبط . فالخلق ليس هو وليد المصادفة ولا نتاج الطبيعة كما يقوله الملاحدة ؛ لأن كل مُحَدِّث لا بد له من مُحَدَّث ، وكل مخلوق لا بد له من خالق ، إذ لا يعقل وجود مخلوق دون خالق ، ولا أثر دون مؤثر . فالصبي لو ضرب لانتفت يظفر من الذي ضربه ، ولو قيل له لم يضربك أحد لم يفتح بل يقتل يبكي حتى ينتقم من ضربه . ولهذا يحكي عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله : إن قوماً أرادوا البحث معه في تقرير توحيد الربوبية ، فقال لهم أخبروني قبل أن نتكلم في هذه المسألة عن سفينة في دجلة تذهب فتمتلئ من الطعام والمتاع وغيره بنفسها وتعود بنفسها وترسى بنفسها وتفرغ وترجع كل ذلك من غير أن يديرها أحد فقالوا : هذا محال لا يمكن أبداً ، فقال لهم : إذا كان هذا محالاً في سفينة فكيف في هذا العالم كله علوه وسفله^(٢) !!

والمنكرون لوجود الخالق مضطربون في جوابهم عن هذا البرهان القاطع : وهو أننا نشاهد الأشياء تحدث شيئاً فشيئاً . وكل مُحَدِّث لا بد له من مُحَدَّث - فتارة يقولون : هذه الأشياء تحدثها الطبيعة التي هي عبارة عن ذات الأشياء من النبات والحيوانات والجمادات . فهذه الكائنات عندهم هي الطبيعة وهي التي أوجدت نفسها . أو يقولون هي عبارة عن صفات الأشياء وخصائصها من حرارة وبرودة ورطوبة وبهوسة

(١) أي أن الأشياء تحدث نتيجة اجتماع العناصر السالبة والموجبة وتفاعلها فتسبب لا بسبب تدبير واردة من خالق لها ومقدر لوجودها في نظرهم .

(٢) شرح الطحاوية صفحة ٢١

وملاسة وعشونة . وهذه القابليات من حركة وسكون ونمو وتزاوج وتوالد . هذه الصفات وهذه القابليات هي الطبيعة بزعمهم ، وهي التي أوجدت الأشياء . وهذا قول باطل على كلا الاعتبارين ، لأن الطبيعة بالاعتبار الأول على حد قولهم تكون خائفة ومخلوقة ، فالأرض خلقت الأرض والسماء خلقت السماء وهكذا . وهذا مستحيل وإذا كان صدور الخلق عن الطبيعة بهذا الاعتبار مستحيلاً فاستحالته بالاعتبار الثاني أشد استحالة ؛ لأنه إذا عجزت ذات الشيء عن خلقه فعجز صفته من باب أولى ؛ لأن وجود الصفة مرتبط بالموصوف الذي تقوم به . فكيف تخلقه وهي مفتقرة إليه . وإذا ثبت بالبرهان حدوث الموصوف لزم حدوث الصفة . وأيضاً فالطبيعة لا شعور لها فهي آلة محضة فكيف تصدر عنها الأفعال العظيمة التي هي في غاية الإبداع والحكمة والإنقان . فإنك إذا نظرت إلى هذا الكون المنظم بأفلاكه وأرضه وسمائه وسير المخلوقات فيه بهذه الدقة والتنظيم العجيب تبين لك أنه لا يمكن أن يصدر إلا عن خالق حكيم هو الله :

﴿ قُلْ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ١٥ ﴾ (سورة الرعد).

وقد أعلن الله أنه هو الخالق وحده وتحدى هؤلاء الملحدين والمشركين بقوله :

﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ١ ﴾ (سورة لقمان آية ١١).

وبقوله : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَذْكَرَ وَأَعْيَتْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُكْفَرُونَ ٥ ﴾ (سورة فاطر).

وبقوله : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ صُرُبٍ مِثْلٍ مَا تُسْمِعُونَ أَلَمْ يَكُنْ الْوَيْتُكَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَوْ يَخْلُقُونَ دُكْبَابًا لَوِ اجْتَبَعُوا لَهُمْ ٧٣ ﴾ (سورة الحج آية ٧٣).

وبقوله : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ آتِلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مِنَ اللَّهِ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِضِيَاءٍ أَوْ لَاسْمَعُونَ ٦٦ ﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مِنَ اللَّهِ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِبَلٍ تَكُونُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ٧٧ ﴾ (سورة القصص).

وبقوله : ﴿ أَمِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْبُدُونَ ١٢٠ ﴾ أَمِنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ

حَاجِرًا إِلَيْهِ مَعَ اللَّهِ إِلَى أَكْثَرِهِمْ لَا يَسْمُوكَ ﴿٦١﴾ آمَنَ مَجِيبُ الْمَضْطَرِ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْنِفُ
السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلْفَاءَ الْأَرْضِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا لَذَكَّرْتُمْ ﴿٦٢﴾ آمَنَ
بِعَذَابِكُمْ فِي ظُلُمَاتٍ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أُولَئِكَ مَعَ
اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ آمَنَ بِيَدِ الْخَلْقِ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ قُلْ مَا تَوَارَفْتُمْ أَنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ (سورة النمل)

ولما قال النمرود : (أنا أحيى وأميت) قال له إبراهيم عليه السلام : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ
الْمَشْرِقِ فَأْتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (سورة البقرة).
فانقطعت حجة المعاندين . وقامت حجة الله على الخلق أجمعين . قال بعض العلماء في الرد على
أصحاب القول بنسبة إيجاد الأشياء إلى الطبيعة (١).

قل للطبيب الفيلسوف بزعمه	أن الطبيعة علمها برهاني
أين الطبيعة عند كونك نطفة	في البطن إذ مشجت به الماءان
أين الطبيعة حين عدت علقة	في أربعين وأربعين ثوان
أين الطبيعة حين كونك مضغة	في أربعين وقد مضى العددان
أثرى الطبيعة صورتك مصوراً	بسماع ومناظر وهنآن
أثرى الطبيعة أخرجتك منكساً	من بطن أمك واهي الأركان
أم فجرت لك باللبان ثديها	فرضعتها حتى مضى الحولان
أم صيرت في والديك محبة	فهما بما يرضيك مغتبطان

تنبه :

وما يشبه قول أهل الطبيعة نسبة بعض أفعال الله تعالى إلى بعض مخلوقاته ، كنسبة نزول الأمطار إلى
المنخفضات والمنخفضات الجوية أو إلى النجوم ، وهو ما يسمى بالاستسقاء بالأنواء ، وفي الصحيحين من
حديث زيد بن خالد - رضي الله عنه - قال : «صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحَدِيثِ عَلَى إِثَرِ

(١) من التوبة القحطانية

سجاء كانت من الليل . فلما انصرف أنبل على الناس فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر . فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب . وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب . قال في فتح المجيد^(١) : دل الحديث على أنه لا يجوز لأحد أن يضيف أفعال الله إلى غيره . ولو على سبيل المجاز - انتهى . ونسبة أفعال الله إلى غيره على نوعين : النوع الأول : أن ينسبها إلى غيره نسبة إيجاد كأن يعتقد أن نزول المطر بفعل النجوم وتأثيرها . وهذا شرك أكبر وكفر بالله تعالى يخرج من الملة ؛ لأنه جعل لله شريكاً في أفعاله . النوع الثاني : أن ينسبها إلى غير الله مجازاً وتساهلاً في التعبير مع اعتقاده أنها أفعال الله وحده فهذا محرم وشرك أصغر ، وكفر أصغر لا يخرج من الملة ؛ لأنه لم يعتقد تأثير النوء بانزال المطر فيكون من كفر النعم لعدم نسبتها إلى الذي أنعم بها .

ومثل هذا أيضاً نسبة الحوادث إلى الدهر ومسببة الدهر من أجل ذلك ، قال تعالى :

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لِّهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَئِذَا أَمَرَ بِشَيْءٍ قَالَ كُنْ فَإِنَّهُ كَانَ ۚ﴾ (سورة المجادلة آية ٢٤).

أي ما ثم إلا هذه الدار يموت قوم ويميش آخرون ، وليس هناك حياة أخرى نبعث إليها بعد الموت . ونسبوا إهلاكهم إلى الدهر ولم ينسبوه إلى الله ، وهذا قول الفلاسفة الدهرية وبعض مشركي العرب ، ومنهم من يسبب الدهر لأنه يزعم أنه هو الذي يصيبه بالمصائب والمكاره . وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله تعالى يؤذيني ابن آدم يسبب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار . وفي رواية : لا نسبوا الدهر فإني أنا الدهر » . قال البغوي في شرح السنة : ومعناه أن العرب كان من شأنها ذم الدهر أي سبه عند التوازل ؛ لأنهم كانوا ينسبون إليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره . فيقولون : أصابتهم قوارع الدهر وأبادهم الدهر . فإذا أضفوا إلى الدهر ما تألهم من الشدائد سبوا فاعلها ، فكان مرجع سبها فاعلها ، فكان مرجع سبها إلى الله عز وجل ، إذ هو الفاعل في الحقيقة للأمور التي يصيغونها . فنهوا عن سب الدهر ؛ لأن فاعل هذه الأمور التي سبوا الدهر من أجلها هو الله سبحانه وتعالى . فتكون مسبتهم للدهر مسببة لله تعالى لأن الدهر ليس له فعل في هذه الأمور . وليس معنى الحديث أن الدهر من أسماء الله تعالى ، ولكن معناه كما بينه الحديث أن الله هو الذي يقلب الليل والنهار ويجري فيهما ما يحبه الناس وما يكرهونه - والله أعلم^(٢) .

(١) انظر فتح المجيد صفحة ٢٦٤ .

(٢) انظر فتح المجيد صفحة ٣٥٧ - ٣٥٨ .

ومثل ذلك ما ينسب إلى البروج من الحفظ والنحوس والريح والخسارة كما ينتشر في بعض المجالات من الأمور الجاهلية . ومثل هذا سبب الريح فقد ورد النهي عنه في قوله ﷺ : « لا تسبوا الريح فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا : اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به . ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به » صححه الترمذي .

وفذلك لأن الريح تهب بأمر الله فمسبها مسببة للذي أمرها وسخرها ، فمسبها من جنس مسببة الدهر . وبالجسنة : تحريم نسبة الحوادث إلى الظواهر الكونية ، وقد تكون كفراً ، وقد تكون شركاً أكبر أو أصغر بحسب الاعتقاد في ذلك .

الاستئلة

- ١ - ما وجه الاستدلال بوحدة الخلق على نظام واحد على وحدانية الخالق ؟ وما الدليل على ذلك من القرآن ؟
- ٢ - كيف ترد على من قال بأن هذه الموجودات وليدة المصادفة أو من نتائج الطبيعة ؟
- ٣ - ما الدليل على انفراد الله بالخلق وأن غيره لم يخلق شيئاً ؟

الفصل الرابع

برهان الكمال الإلهي وغناه عن كل مخلوق وفقر كل مخلوق إليه

من براهين التوحيد الكمال الإلهي ، وذلك بأن يكون المعبود كاملاً كاملاً مطلقاً ، غنياً عما سواه وكل ما سواه محتاج إليه . وهذا لا ينطبق إلا على الله وحده ، فهو الكامل بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله . وما سواه ناقص من كل وجه ، وهو الغني عما سواه ، وما سواه محتاج إليه . إذا قال له سبحانه هو المستحق للعبادة وحده لكماله وغناه وما سواه ، لا يستحق من العبادة شيئاً لنفسه وفقره ؛ لأن الكامل الغني يملك ما يطلب منه ويفقر عليه ، والناقص الفقير لا يملك ما يطلب منه ولا يقدر عليه ، وقد ورد ذكر هذا البرهان في آيات كثيرة من القرآن منها :

١ - قوله تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْعٍ ۝٣٦ ﴾ (سورة فاطر).

فمن كماله الإلهي أنه مالك الملك ، ومن نقص ما سواه عدم الملكية لأحق الأسماء .

٢ - قوله تعالى في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن :

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ ﴾
 ﴿ وَكَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤ ﴾
 فهو (الأحد) الذي انحصرت فيه الأحدية ، فهو الأحد المنفرد بالكمال ، الذي له الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا والأفعال المقدسة . الذي لا نظير له ولا مثل . (الصمد) أي المقصود في جميع الخواص ، فأهل العالم العلوي والسفلي مفتقرون إليه غاية الافتقار يسألونه حوائجهم ، ويرغبون إليه في مهماتهم ؛ لأنه الكامل في أوصافه ، العليم الذي قد كمل في علمه ، الخليم الذي كمل في حلمه ، الذي وسعت رحمته كل شيء .
 ومن كماله أنه (لم يلد ولم يولد) لكمال غناه عن غيره .

(ولم يكن له كفواً أحد) أي لا مثيل له في أسمائه ولا في صفاته ، ولا في أفعاله . تبارك وتعالى (١)

فهو الغني عن المولد والمولد والشركاء لا شبيه له .

(١) انظر تفسير ابن سبكي (٢/٦٨٦) .

٣ - وقوله : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ٢٥٥﴾ (البقرة).

وهذه أعظم آية في كتاب الله - عز وجل - لما تشتمل عليه من ذكر صفات الله الكاملة، ونفي النقائص عن الله - سبحانه وتعالى - لغناه التام وفقر جميع المخلوقات إليه ، فأخبر أنه (الله) الذي له جميع معاني الألوهية فلا يستحق العبادة إلا هو (الحي) الذي له جميع معاني الحياة الكاملة من السمع والبصر والقدرة والإرادة وغيرها من الصفات الذاتية (القيوم) الذي قام بنفسه واستغنى عن جميع مخلوقاته . وأقام غيره من جميع الموجودات فأوجدتها وأبقاها وأمدّها بجميع ما تحتاج إليه في وجودها وببقائها . وهذا يدخل فيه جميع صفاته الفعلية (لا تأخذه سنة) وهي النعاس (ولا نوم) وذلك لكمال حياته وقبوميته ؛ لأن السنة والنوم من مظاهر العجز والضعف . ثم أخبر عن كمال ملكه فقال : (له ما في السموات وما في الأرض) وعن كمال سلطانه وهيبته فقال : (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) وعن كمال علمه فقال : (يعلم ما بين أيديهم) من الأمور المستقبلية (وما خلفهم) من الأمور الماضية، وأخبر أن الخلق لا يعلمون إلا ما علمهم : (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) فهم محتاجون إليه في تعليمهم ما يجهلون . ثم أخبر عن عظمته وجلاله حيث (وسع كرسيه السموات والأرض) وقد جاء أن الكرسي موضع القدمين وهو دون العرش ، وأخبر عن حفظه للسموات والأرض من الاحتلال والزوال ، وأن ذلك لا يثقله ولا يشق عليه لكمال قدرته وسعة علمه فقال : (ولا يؤوده حفظهما) كما قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ (سورة فاطر آية ٤١).

ثم قال : (وهو العلي) الذي له علو الذات فوق المخلوقات وعلو القهر (العظيم) الجامع لصفات العظمة والكبرياء والكمال والبقاء.

وغير ذلك في القرآن كثير ، كما أنه سبحانه يذكر فقر المخلوقات إليه وبطلان عبادتها - كقوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اسْمُوا لِلْفَقْرَاءِ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ ٢٥٦﴾ (فاطر).

وقوله : ﴿وَيَسْتَدِينُ مِنْ رَبِّهِ وَمَا لَا إِلَهَ إِلَّا لَهُمْ رَبَّكَ مِنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ٢٥٧﴾ (سورة التحل).

وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ ﴾ **وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴿١٧﴾ ﴿ (سورة العنكبوت).

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ ﴿١٨﴾ ﴿ (سورة النحل).

وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ ﴾ ﴿ (الأعراف ١٩٤).

فكيف يُسَوَّى الناقص بالكامل ! وكيف يُسَوَّى العاجز بالقادر ! وكيف يُسَوَّى العبد المخلوق بالخالق ! ولهذا يدرك المشركون يوم القيامة إذا دخلوا النار بدمكون ضلالهم في هذه التسوية حيث يقولون لعبودهم من دون الله :

﴿ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ ﴿١٧﴾ ﴿ إِذْ نُسَبِّحُكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١٨﴾ ﴿ (سورة الشعراء).

٤ - ومن أدلة كماله إتقان الخلق وإحكامه :

﴿ مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ ﴾ ﴿ (سورة الملك آية ٣).

﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾ ﴿ (سورة السجدة آية ٧).

﴿ صُغَّرَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ ﴿ (سورة النمل آية ٨٨).

﴿ الَّذِي أَنْعَمَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿ (سورة طه).

فإتقان الخلق وإحكامه وانضباطه يدل على كمال الخالق - سبحانه وتعالى - وأنه هو المستحق للعبادة وحده دون سواه.

الأسئلة :

- ١ - اذكر نموذجاً من الأدلة القرآنية على كمال الخالق وغناه .
- ٢ - ما وجه الاستدلال بكمال الخالق وغناه على وجوب إفراذه بالعبادة؟



الباب الثالث

شمول العبادة

ويتكوّن من الفصول الآتية :

الفصل الأول : أن التوحيد المطلوب هو إفراد الله بالعبادة.

الفصل الثاني : بيان معنى العبادة.

الفصل الثالث : شمول العبادة لكل ما يقوم عليه المجتمع المسلم في عقيدته وحكمه وسلوكه وأخلاقه.

الفصل الرابع : الرد على الذين يرون عزل الدين عن الدولة.

وأن الدين في نظرهم محصور في الشعائر التعبدية.

الفصل الخامس : المنهج الإلهي لنظام الحياة هو منهج الإيمان

بالله. وما سواه فهو منهج جاهلي.



الفصل الأول

التوحيد المطلوب هو إفراد الله بالعبادة

عرفنا - فيما سبق - أن التوحيد ثلاثة أنواع : توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات . فتوحيد الربوبية هو إفراد الله تعالى بأفعاله كالخلق والرزق والإحياء والإماتة وجلب الخير ودفع الشر . وتوحيد الألوهية هو إفراد الله تعالى بأفعال العباد التي يفعلونها على وجه التقرب والتعبد ، كالدعاء والنذر والنحر والخوف والرجاء والرغبة والرهبة والإنابة والتوكل وغير ذلك من أنواع العبادة المشروعة . وتوحيد الأسماء والصفات هو الإقرار بأسماء الله وصفاته التي سمي بها ووصف بها نفسه أو سماه ووصفه بها رسوله ﷺ .

فأسماءه كالحي القيوم السميع البصير العليم القدير الخبير ، وصفاته كالسمع والبصر والوجه واليد والعلم والقدرة والإرادة - إلى غير ذلك مما ثبت في الكتاب والسنة .

فالنوع الأول من التوحيد وهو توحيد الربوبية قد أقربه الكفار ولم يدخلهم في الإسلام لأن الإقرار به وحده لا يكفي - قال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝ ﴾ (سورة الزخرف).

وقال تعالى :

﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّعْيِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۝ سَيَقُولُ كُفُّوا ۝ ﴾ (سورة المؤمنون آية ٨٦ - ٨٧).

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۝ ﴾ (سورة الزخرف آية ٨٧).

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۝ ﴾ (سورة يونس آية ٣١).

والتوحيد المطلوب والذي يدخل في الإسلام هو توحيد الألوهية ، وهو إفراد الله بالعبادة وهذا هو الذي جحدته المشركون وبعث الله الرسل في الدعوة إليه - قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَىٰ أُمَّةٍ رَسُولًا أَن يُعْبُدُوا اللَّهَ وَأَخْلَسُوا الْقُلُوبَ ﴾ (سورة النحل آية ٣٦).

وهذا النوع من التوحيد هو الذي شرع الجهاد من أجله قال تعالى :

﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونََ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (سورة الأنفال آية ٣٩).

وهو الذي أمر الله به عباده : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ (سورة البينة آية ١٥).

فلان قيل : ما وجه ذكر توحيد الربوبية في القرآن مع أن المطلوب هو توحيد الألوهية.

قيل : توحيد الربوبية إنما يذكر في القرآن من أجل الاستدلال على توحيد الألوهية لأنه مستلزم له .

قال تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ آعْبُدُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَرَشًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة البقرة).

وهذا التوحيد هو معنى لا إله إلا الله - فإن الإله معناه المعبود - أي لا معبود بحق إلا الله . وما سواه

فعبادته باطلة . كما قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ

هُوَ الْبَاطِلُ ﴾ (سورة الحج آية ٦٢).

وبهذا يظهر غلط من ظن أن معنى لا إله إلا الله هو الإقرار بأن الله هو الخالق الرازق والمدير فيفسر

هذه الكلمة بتوحيد الربوبية - والدليل على بطلان هذا التفسير معنى لا إله إلا الله أن النبي ﷺ قاتل

المشركين وهم يقررون بتوحيد الربوبية . وقال : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن

محمدًا رسول الله الحديث^(١) . فدل على أن معنى لا إله إلا الله ليس هو الإقرار بالربوبية ؛ لأن الإقرار

بالربوبية موجود ولا يكاد أحد ينكره في العالم . ولو كان هو معنى لا إله إلا الله لم يستكبر المشركون عن

قول هذه الكلمة - قال تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝ وَيَقُولُونَ آيَاتُنَا

لَنُؤْتِيَنَا الْآيَاتِنَا لِنُشَارِكُنَّ ۝ ﴾ (الصافات آية ٣٥ - ٣٦).

(١) الحديث متفق عليه .

إذ كيف يستكبرون عن شيء يقرّون به . وكذلك يخطئ بعض الكتاب المعاصرين حيث يفسرون لا إله إلا الله بالحاكمية . فيقولون معناها : لا حاكمية إلا لله - وهذا خطأ ؛ لأن الحاكمية جزء جالبي من معناها الذي هو إثبات العبودية لله ونفي الشرك .

الاستنباط :

١ - ما التوحيد المطلوب من العباد ؟ وما الدليل ؟

الفصل الثاني

معنى العبادة

العبادة هي الذل والخضوع مع المحبة . فقد عرفها بعض العلماء بأنها : غاية الذل مع غاية الحب . وعرفها شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بأنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة . وقد خلق الله الخلق من أجلها قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (سورة الذاريات).

ولا تكون العبادة صحيحة إلا إذا كانت خالصة لله ليس فيها شرك وكانت موافقة لما شرعه . فمن عبد الله مخلصاً له العبادة على وفق ما شرع فهو الموحّد . ومن لم يعبدّه كان متكبراً ، ومن عبده وعبد معه غيره كان مشركاً . ومن عبده على غير ما شرع كان مبتدعاً مخرفاً . فالعبادة لا تكون صحيحة مقبولة إلا بشرطين : الإخلاص لله تعالى والمتابعة للرسول ﷺ قال تعالى : ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرٌ عِنْدَ رَبِّهِ . وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (سورة البقرة).

ومعنى : (أسلم وجهه لله) أي أخلص عمله من الشرك.

ومعنى : (وهو محسن) أي متبع للرسول ﷺ فلم يكن في عمله بدعة ولا خرافة.

الأسئلة :

١ - عرف العبادة ، وبين مكانتها وشروط صحتها .

الفصل الثالث

شمول العبادة لكل ما يقوم عليه المجتمع المسلم

العبادة كما سبق تشمل كل شؤون حياة المسلمين في العقيدة . بحيث تكون عقيدة المسلم خالصة لله سليمة من الشرك ومن المبادئ الهدامة والأفكار المنحرفة . وفي الشعائر التعبدية بحيث تكون وفق المنهج الذي شرعه الله ، سليمة من البدع والخرافات - فقولہ ﷺ : «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»^(١).

وفي قوله : «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»^(٢) . وفي الحكم بين الناس قال تعالى :

﴿ وَإِنْ أَحْكَمْتُمْ بَيْنَهُمْ يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ (المائدة آية ٥٠).

قال تعالى : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ (سورة النساء آية ٥٩).

قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (سورة النساء آية ٥٨).

فتحكيم الشريعة عبادة لله وتوحيده . وتحكيم النظم والقوانين البشرية كفر وشرك - قال تعالى :

﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (سورة المائدة آية ٤٥).

قال تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾ (الشورى آية ٢١).

وطاعة المخلوق في تحليل الحرام وتحريم الحلال شرك أيضاً ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَكَايُومُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجْهِدُوا أَوْلِيَّكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ (سورة الأنعام آية ١٣٠).

قال تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْحَسْبُ لَكُمْ مَزِيدٌ ﴾ (سورة التوبة آية ٢٤).

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (سورة التوبة آية ٢٤).

(سورة التوبة).

(١) رواه البخاري ومسلم . (٢) رواه مسلم .

ولا يكفي أن يكون المقصود من تحكيم الشريعة إقامة العدل وتوفير الأمن فقط ، بل لا بد أن يكون المقصود الأعظم والأساسي هو التعبد لله بذلك وطاعة أمره وقبول شريعته . كالجهد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وكذلك العبادة تشمل سلوكك المسلم مع بني مجتمعه ، وتخلقه بأخلاق الإسلام من برة بوالديه ، وصلاته لأرحامه ، ومواساته للفقراء والمحتاجين ، ومحبة الخير لإخوانه وإعانتهم على مصالحهم ، وكف أذى عنهم ، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الأدميين والبهائم . فالعبادة تشمل فعل كل ما أمر الله به ورسوله، وترك كل ما نهى عنه ورسوله . وهذا يشمل كل حياة المسلم.

الأسئلة :

- ١ - ما الذي يشمله معنى العبادة مع الاستدلال ؟
- ٢ - ما الدليل على أن مصادر العبادة مفسورة على ما ورد في الكتاب والسنة ؟

الفصل الرابع

الرد على الذين يرون عزول الدين عن الدولة

يحاول المستشرقون والمستغربون (الذاهبون مذهب الغرب في فهم الدين) يحاولون أن يعزلوا الدين والعبادة عن بقية شؤون الحياة ويحصروها في نطاق ضيق من حياة المسلمين ، فيجعلوها فيما يمارسه المسلمون في المساجد من الصلاة والذكر . أو فيما بين العبد وبين ربه . ولا شأن للدين والعقيدة في شؤون الحكم والسياسة . ولا في شؤون الاقتصاد . ولا في الحكم بين الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم - إنما هذه الأمور بزعيمهم من اختصاص القوانين الوضعية والنظم الأرضية تشريعاً وتطبيقاً - وهذا كفر بالله - عز وجل - ، وعزل لسلطانه ، وتعطيل لشرعه ، وشرك في عبادته ، لأن الدين والعبادة - كما أسلفنا - يتسللان كل شؤون المسلمين . عقيدة ، وعبادة ، ومعاملة ، وتحكيم ، وحكماً ، وسلوكاً ، وأخلاقاً . قال الله تعالى :

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾

فالذي يقصر الإسلام على بعض التعاليم التعبدية ويعزله ويفصله عن بقية شؤون الحياة يعتبره ناقصاً ويكذب قوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (سورة المائدة آية ٣)

وقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ لَّمْ تَعْلَمُوا فِي شَيْءٍ فَسْأَلُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ (سورة النساء آية ٥٩)

وقوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ دِينُ اللَّهِ الَّذِي بَعَثَ فِيكُمْ رَسُولَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (سورة الممتحنة)

إن الإسلام معناه الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة وتلقي الأحكام منه :

﴿ إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ ﴾ (سورة يوسف آية ٤٠)

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ مِمَّا رَعَوْا إِلَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ ﴾ (الشورى آية ٢١)

أما الذي يزعم أنه يؤمن بالله ويتلقى الأحكام من غيره هو كاذب في دعواه الإيمان قال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُزِيلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الظَّالِمِينَ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ﴾ (النساء آية ٦٠)

ما هذا التناقض ؟ هل يجتمع الإيمان بالله مع تحكيم الطاغوت وعدم الكفر به ! إن الكفر بالطاغوت شرط أساسي في صحة الإيمان بالله والاستمسك بدينه . قال تعالى : ﴿ قَمِنَ يَكْفُرُ بِالْغَنُوتِ

وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۗ ﴾ (البقرة آية ٢٥٦).

وأعظم من ذلك محاولة فصل توحيد الألوهية عن العقيدة بحيث تكون العقيدة المطلوبة في نظر بعض الضلال هي الإقرار بتوحيد الربوبية . فإذا أقر به صار عندهم موحداً^(١) ولو عبد غير الله من القبور والأولياء والصالحين .

له

الأسئلة

١ - كيف ترد على من يرى عزل الدين عن شؤون الحياة ؟ وما حكم من يرى ذلك أو يفعله مع الاستدلال ؟

١١١ كما هو موجود في نسبة العقائد المولدة على الطريقة المتكلمية حيث يعرفون التوحيد بأنه الإقرار بوجود الله وأنه الخالق المدبر للكون إلى آخر ما يقولون .

الفصل الخامس

المنهج الإلهي لنظام الحياة هو منهج الإيمان بالله

قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَرُزِّقَهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لِنِي ضَلَّالِينَ ﴾ (سورة آل عمران).

كان الناس قبل بعثة النبي ﷺ في جاهلية جهلاء وفسالة عمياء . في عباداتهم ، حيث يعبدون الأصنام . وفي حكمهم وسياساتهم حيث يحكمون الطواغيت . ويعيشون على الغارات ، والشارع والنهب والسلب والقلق والخوف . وفي اقتصادياتهم حيث يتعاملون بالربا والميسر وأكل الأموال بالباطل ، إلى غير ذلك من الضلال ، وكانوا مستضعفين في الأرض لا دولة تجمعهم ، ولا عقيدة تؤلف بينهم . فلما بعث الله النبي ﷺ أخرج الله به المؤمنين من الظلمات إلى النور ، فصحت عقيدتهم ، واجتمعت كلمتهم ، وقامت دولتهم ، ونالقت قلوبهم ، وطابت مكاسبهم ، وقام اقتصادهم . وقد ذكرهم الله بذلك في قوله : ﴿ وَأَذْكُرُوا بِغَمَّتِ اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ (آل عمران آية ١٠٣).

وفي قوله : ﴿ وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ فَخَافُوا أَنْ يَخَطَفَكُمْ النَّاسُ فَتَوَّانَكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِبَصَرِهِ وَدَفَقَكُمْ مِنْ أَلْيَسَيبِ أَعْلَمَكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (سورة الأنفال).

قال تعالى : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مِمَّا أَنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ (سورة البقرة).

هذا هو المنهج الإلهي لنظام الحياة منهج الإيمان بالله ورسوله والحكم بشريعته . وما عداه من المناهج البشرية المخالفة للمنهج الإلهي هو منهج الجاهلية - قال تعالى : ﴿ فَإِنْ قُلُوا فَأَعْلَمَ الْبَاطِلُ بِدُلَّةِ اللَّهِ أَنْ يُصَيِّبَهُمْ

يَتَّخِذُونَ نُؤُوسَهُمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا يَقُومُ
بُوقُوتُونَ ﴿١٧﴾ ﴿ (سورة المائدة)

فما عدا حكم الإسلام هو حكم الجاهلية - وإن سمي تقدماً ورفقياً ، وإن كان عليه أكثر الخلق وأعظمهم
تقدماً في الحضارة المادية . وكل دعوة بغير الإسلام هي دعوة جاهلية ، كالدعوة إلى القوميات والحزبيات
والعنصريات ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ
أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَى ﴾ (الحجرات آية ١٣) .

فالفضل إنما هو في الدين والتقوى لا في القوميات والعنصريات والحزبيات . وقد قال النبي ﷺ
في خطبته يوم فتح مكة : « يا أيها الناس إن الله تعالى قد أذهب عنكم عبية^(١) الجاهلية وتعظمها
بآبائها - فالناس رجلان : رجل بر تقي كريم على الله تعالى . ورجل فاجر شقي هين على الله تعالى .
إن الله عز وجل يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ
أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَى ﴾ (الحجرات آية ١٣) .

ثم قال ﷺ : « أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم »^(٢) .

الأسئلة :

- ١ - اذكر الأدلة على أن المنهج الإلهي لنظام الحياة هو منهج الإيمان وحده ؟
- ٢ - ما حكم المناهج المخالفة للمنهج الإلهي ؟ وما الدليل على ذلك ؟

(١) عبية - بضم العين وكسر الياء مشددة وتشديد الياء مفتوحة - الكبر - النهاية لابن الأثير (٣/ ١٦٩) .

(٢) رواية ابن أبي حاتم - تفسير ابن كثير (٦/ ٣٨٨) مطبوعة دار الأندلس وله شواهد عند أحمد وأبي داود والترمذي .

الباب الرابع

في الإيمان بأسماء الله وصفاته

ويتكوّن من الفصول الآتية :

الفصل الأول : الأدلة من الكتاب والسنة والعقل على ثبوت
الأسماء والصفات.

الفصل الثاني : منهج أهل السنة و الجماعة في أسماء الله
وصفاته .

الفصل الثالث : الرد على من أنكر الأسماء والصفات أو
أنكر شيئاً منها.

الفصل الأول

الأدلة من الكتاب والسنة والعقل على ثبوت الأسماء والصفات

أ - الأدلة من الكتاب والسنة :

سبق أن ذكرنا أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام : توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات ، وذكرنا جملة من الأدلة على النوعين الأولين - توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية - والآن نذكر الأدلة على النوع الثالث - توحيد الأسماء والصفات ، فإليك شيئاً من أدلة الكتاب والسنة قال تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٨٠ ﴾

(سورة الأعراف).

أثبت الله سبحانه في هذه الآية لنفسه الأسماء وأخبر أنها حسنى ، وأمر بدعائه بها - بأن يقال : يا الله ، يا رحمن ، يا رحيم ، يا حي يا قيوم يا رب العالمين ، وتوعد الذين يلحدون في أسمائه - بمعنى أنهم يحيلون بها عن الحق - إما بنفيها عن الله - أو تأويلها بغير معناها الصحيح أو غير ذلك من أنواع الإلحاد ، وتوعدهم بأنه سيجازيهم بعملهم السيئ . وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ١٨١ ﴾ (سورة طه).

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ٢٢٠ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٢٢١ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٢٢٢ ﴾ (سورة الحشر).

فدللت هذه الآيات على إثبات الأسماء لله .

ومن الأدلة على ثبوت أسماء الله من سنة الرسول ﷺ ها رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة »^(١) .

(١) متفق عليه .

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ﴿١﴾ **اللَّهُ الصَّمَدُ** ﴿٢﴾ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْلًا وَلَمْ يُؤَلَدْ ﴿٣﴾
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ (سورة الإخلاص).

وَقَالَ أَتَغِيرُ سِيحَانَهُ أَنْ لَهُ وَجْهًا،

(١) رواه أحمد في المسند وصححه ابن حبان - وقد دل على عدم حصر أسماء الله في تسعة وتسعين. فيكون ثلثمائة واخترت - والله أعلم - أن من تعلم هذه الأسماء التسعة واثنين ودعا الله بها وعهد بها دخل الجنة ويكون ذلك خاصية لها.

(٢) رواه البخاري في صحيحه.

وأن له يدين فقال ﴿لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ (سورة ص آية ٧٥).

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ (سورة المائدة آية ٦٤).

وأنه يرضى ويحب ويغضب ويسخط - إلى غير ذلك مما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله.

ب - الدليل العقلي على ثبوت الأسماء والصفات :

أما الدليل العقلي على ثبوت الأسماء والصفات التي دل عليها الشرع فهو أن يقال :

- ١ - هذه المخلوقات العظيمة على تنوعها واختلافها وانتظامها في أداء مصالحها وسيرها في خططها المرسومة لها تدل على عظمة الله ، وقدرته ، وعلمه ، وحكمته ، وإرادته ، ومشيتته.
- ٢ - الإنعام ، والإحسان ، وكشف الضر ، وتفريج الكربات هذه الأشياء تدل على الرحمة والكرم والجود.
- ٣ - والعقاب ، والانتقام من العصاة يدلان على غضب الله عليهم وكرهيته لهم.
- ٤ - وإكرام الطائعين وإثابتهم يدلان على رضى الله عنهم ومحبتهم لهم.

الأسئلة :

- ١ - اذكر الأدلة من الكتاب والسنة على ثبوت الأسماء والصفات لله عز وجل.

الفصل الثاني

منهج أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته

منهج أهل السنة والجماعة من السلف الصالح وأتباعهم إثبات أسماء الله وصفاته كما وردت في الكتاب والسنة وينبني منهجهم على القواعد الآتية :

١ - أنهم يثبتون أسماء الله وصفاته كما وردت في الكتاب والسنة على ظاهرها وما تدل عليه ألفاظها من المعاني - لا يؤولونها عن ظاهرها ، ولا يحرفون ألفاظها ودلالاتها عن مواضعها .

٢ - يتفون عنها مشابهة صفات المخلوقين - كما قال تعالى :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝ ﴾ (سورة الشورى).

٣ - لا يتجاوزون ما ورد في الكتاب والسنة في إثبات أسماء الله وصفاته . فيما أثبتته الله ورسوله من ذلك أثبتوه وما نفاه الله ورسوله نفوه . وما سكت عنه الله ورسوله سكتوا عنه .

٤ - يعتقدون أن نصوص الأسماء والصفات من المحكم الذي يفهم معناه ويضمر وليست من المشابهة . فلا يفوضون معناها ، كما ينسب ذلك إليهم من كذب عليهم أو لم يعرف منهجهم .

٥ - يفوضون كيفية الصفات إلى الله تعالى ولا يبحثون عنها .

الأسئلة :

١ - بين منهج أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته .

٢ - اذكر القواعد التي ينبني عليها مذهب أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته .

الفصل الثالث

الرد على من أنكر الأسماء والصفات أو أنكر بعضها

الذين ينكرون الأسماء والصفات ثلاثة أصناف :

- ١ - **الجهمية** : وهم أتباع الجهم بن صفوان - وهؤلاء ينكرون الأسماء والصفات جميعاً .
 - ٢ - **المعتزلة** : وهم أتباع واصل بن عطاء الذي اعتزل مجلس الحسن البصري - وهؤلاء يشبّهون الأسماء على أنها ألفاظ مجردة عن المعاني وينفون الصفات كلها .
 - ٣ - **الأشعرية** ^(١) **والماتوريديّة** ^(٢) **ومن تبعهم** : وهؤلاء يشبّهون الأسماء وبعض الصفات وينفون بعضها .
- والشبهة التي بنوا عليها جميعاً مذاهبهم هي الفرار من تشبيه الله بخلقه بزعمهم ، لأن المخلوقين يسمون ببعض تلك الأسماء ويوصفون بتلك الصفات فيلزم من الاشتراك في لفظ الاسم والصفة ومعناهما الاشتراك في حقيقتهما وهذا يلزم منه تشبيه المخلوق بالخالق في نظرهم - والتمزوا حيال ذلك أحد أمرين :

- أ - إما تأويل نصوص الأسماء والصفات عن ظاهرهما - كتأويل الوجه بالذات ، واليد بالنعمة .
- ب - وإما تقويض معاني هذه النصوص إلى الله فيقولون الله أعلم بمراده منها ، مع اعتقاد أنها ليست على ظاهرها .

وأول من عرّف عنه إنكار الأسماء والصفات بغض مشركي العرب الذين أنزل الله فيهم قوله تعالى :

﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي آثَرِهِمْ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَبِثُوا عَالَمُهُمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾

(سورة الرعد آية ٣٠) .

وسبب نزول هذه الآية أن قريشاً لما سمعت رسول الله - ﷺ - يذكر الرحمن أنكروا ذلك فانزل الله فيهم ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾ - وذكر ابن جرير أن ذلك كان في صلح الحديبية حين كتب الكتاب في قضية الصلح الذي جرى بينهم وبين رسول الله - ﷺ : (بسم الله الرحمن الرحيم) فضالت قريش : أما

(١) هم أتباع مذهب أبي الحسن الأشعري قبل رجوعه إلى مذهب أهل السنة ، ولم يرجعوا عما رجع عنه .

(٢) هم أتباع مذهب أبي منصور الماتوريدي .

الرحمن فلا تعرفه . وروى ابن جرير أيضاً عن ابن عباس كان رسول الله ﷺ يدعو ساجداً يقول : «يا رحمن يا رحيم» فقال المشركون : هذا يزعم أنه يدعو واحداً وهو يدعو عثنى . فأنزل الله :

﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَدْعُوا الرِّحْمَنَ أَيُّ مَانِدٍ عَوْفَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ (الإسراء آية ١١٠).

وقال تعالى في سورة الفرقان : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ ﴾ (سورة الفرقان آية ٦٠).

فهؤلاء المشركون هم سلف الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ، وكل من نفى عن الله ما أثبت له لنفسه أو أثبت له رسول ﷺ من أسماء الله وصفاته . وبئس السلف لبئس الخلف .

• والرد عليهم من وجوه :

الوجه الأول

أن الله سبحانه وتعالى أثبت لنفسه الأسماء والصفات وأثبتهما له رسول ﷺ فنفيها عن الله أو نفي بعضها نفي لما أثبت الله ورسوله ، وهذا محادة لله ورسوله .

الوجه الثاني :

أنه لا يلزم من وجود هذه الصفات في المخلوقين أو من تسمى بعض المخلوقين بشيء من تلك الأسماء المشابهة بين الله ومخلوقه ، فإن لله سبحانه أسماء وصفات تخصه وللمخلوق أسماء وصفات تخصه . فكما أن لله سبحانه وتعالى ذاتاً لا تشبه ذوات المخلوقين فله أسماء وصفات لا تشبه أسماء المخلوقين وصفاتهم . والاشتراك في الاسم والمعنى العام لا يوجب الاشتراك في الحقيقة ، فقد سمي الله نفسه عالياً حلماً وسمى بعض عباده عالياً فقال : ﴿ وَبَشِّرْهُ بِعَلِيِّهِ عِلْمٍ ﴾ (الذاريات ٢٨) . يعني إسحاق ، وسمى آخر حلماً فقال : ﴿ فَبَشِّرْهُ بِعَلِيِّهِ عِلْمٍ ﴾ (الصافات ١٠١) . يعني إسماعيل ، وليس العليم كالعليم ولا الخليم كالخليم ، وسمى نفسه فقال إن الله سمياً بصيراً وسمى بعض عباده سمياً بصيراً فقال : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نُسْتَلْقِيهِ فِجْنَتَيْنِ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾ (سورة الإنسان) وليس السميع كالسميع ولا البصير كالبصير ، وسمى نفسه بالرزوف الرحيم فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحج ٦٥).

وسمى بعض عباده رؤوفاً رحيماً فقال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة التوبة).

وليس الرؤوف كالرؤوف ولا الرحيم كالرحيم ، وكذلك وصف نفسه بصفات ، ووصف عباده بنظير ذلك - مثل قوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ (البقرة ٢٥٥) فوصف نفسه بالعلم ووصف عباده بالعلم فقال: ﴿وَمَا أَوْتِيْتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء ٨٥) وقال: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ﴾ وقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ (الفصل ٨٠) ووصف نفسه بالقوة فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج ٧٤) ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (سورة الذاريات) ووصف عباده بالقوة فقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ (الروم ٥٤) إلى غير ذلك ومعلوم أن أسماء الله وصفاته تخصه وتليق به . وأسماء المخلوقين تخصهم وتليق بهم . ولا يلزم من الاشتراك في الاسم والمعنى الاشتراك في الحقيقة وذلك لعدم التماثل بين المسميين والموصوفين وهذا ظاهر والحمد لله .

الوجه الثالث :

أن الذي ليس له صفات كمال لا يصلح أن يكون إلهاً ، ولهذا قال إبراهيم لأبيه :

﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ (سورة مريم آية ٤٢).

وقال تعالى في الرد على الذين عبدوا العجل :

﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ أَنَّهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ (سورة الأعراف آية ١٤٨).

الوجه الرابع :

إن إثبات الصفات كمال - ونفيها نقص - فالذي ليس له صفات إما معدوم وإما ناقص - والله تعالى منزّه عن النقص.

الوجه الخامس :

أن تأويل الصفات عن ظاهرها لا دليل عليه فهو باطل ، وتفويض معناها يلزم منه أن الله مخاطبنا في القرآن بما لا نفهم معناه مع أنه أمرنا أن ندعوه بأسمائه . فكيف ندعوه بما لا نفهم معناه - وأمرنا بتدبر القرآن كله فكيف يأمرنا بتدبر ما لا يفهم.

فتبين من هذا أنه لا بد من إثبات أسماء الله وصفاته على الوجه اللائق بالله مع نفي مشابهة المخلوقين كما قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (سورة الشورى)

فنفي عن نفسه مماثلة الأشياء ، وأثبت له السمع والبصر فدل على أن إثبات الصفات لا يلزم منه التشبيه. وعلى وجوب إثبات الصفات مع نفي المشابهة - وهذا معنى قول أهل السنة والجماعة: إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل - وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

الأسئلة:

- ١ - اذكر طوائف الذين أنكروا الأسماء والصفات أو أنكروا بعضها . وما شبهتهم في ذلك؟
- ٢ - كيف ترد على منكري الأسماء والصفات أو شيء منها؟

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
	الفصل الدراسي الأول
	الباب الأول
٩	الفصل الأول : بيان معنى الإسلام وأنه دين جميع الرسل
١١	أصول العقيدة وذكر أدلتها من الكتاب والسنة
١٣	الفصل الثاني : الإيمان بالملائكة
١٥	الفصل الثالث : الإيمان بالكتب الإلهية والحكمة في إنزالها
١٧	الفصل الرابع : الإيمان بالرسل
٢٠	الفصل الخامس : الإيمان باليوم الآخر والأدلة عليه
٢٣	الفصل السادس : الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره
٢٣	درجات القضاء والقدر التي يجب الإيمان بها
٢٤	من ثمرات الإيمان بالقدر
	الباب الثاني
٢٨	الفصل الأول : برهان الفطرة
٣١	الفصل الثاني : برهان الخلق والإبداع
٣١	١ - في النظر في الأرض وما بث فيها من مخلوقات
٣٣	٢ - النظر في السماء وما فيها من الكائنات
٣٤	٣ - النظر في خلق الإنسان وما فيه من العجائب
٣٦	٤ - ما جاء في القرآن الكريم
	الفصل الدراسي الثاني
٤٢	الفصل الثالث : برهان اتساق النظام الكوني
٤٢	الطبايعيين والقائلين بالمصادفة
٤٧	الفصل الرابع : برهان الكمال الإلهي وغناه عن كل مخلوق وفقر كل مخلوق إليه

الصفحة	الموضوع
	الباب الثالث
٥١	الفصل الأول : التوحيد المطلوب هو إفراد الله بالعبادة
٥٤	الفصل الثاني : معنى العبادة
٥٥	الفصل الثالث : شمول العبادة لكل ما يقوم عليه المجتمع المسلم
٥٧	الفصل الرابع : الرد على الذين يرون عزل الدين عن الدولة
٥٩	الفصل الخامس : المنهج الإلهي لنظام الحياة هو منهج الإيمان بالله
	الباب الرابع
٦٢	الفصل الأول : الأدلة من الكتاب والسنة والعقل على ثبوت الأسماء والصفات
٦٢	أ - الأدلة من الكتاب والسنة
٦٤	ب - الدليل العقلي على ثبوت الأسماء والصفات
٦٥	الفصل الثاني : منهج أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته
٦٦	الفصل الثالث : الرد على من أنكر الأسماء والصفات أو أنكر بعضها
٧٠	الفهرس